

الاعمال الشعرية

١٩٦٤ - ١٩٧٥

حسب الشيخ جعفر



١٩٨٥

الجمهورية العراقية
مفشورات وزارة الثقافة والاعلام
ديوان الشعر العربي الحديث
(١٨٥)

فخلة الله

۱۰۰

.. وأمد حبلا من رماد يديّ ، يامطر النسيم ،
الى يديك
لأحس في شفّتيّ رعشة وجنتيك
لأحس وهجا في يديك ،
لحا من الماضي ، حرارة خبز أمي ،
وهج بسمتها الحنون
او دفء قبلتها وهمس صلاتها في فجر عيد

ويدي تحس نداوة العشب الحصيد .
يا ملح اول دمة كانت غمائم في عيوني
ياطعم اول قطرة من ثدي امي في شفاهي .
دعني احسك كالعبير
كالدفء في وجنات طفل ، كالنسيم يمر بعد ضحى مطير
دعني احسك ياإلهي .
كحليب امي في شفاهي .
ياغفوة فوق الحصير
والماء كالبلور في كوز الفخار
وشجيرة اليقطين ، فوق السقف ، خضراء الثمار
والظل في البستان سري كما إلتفّ النعيم .
ياقطرة من نهرنا المنسي اطفأت الجحيم

ياقطرة من نهرنا المنسي ، يامطر النسيم
أطفيء سراياً في شفاهي
أطفيء صحارى في الضمير .
ياقطرة من نهرنا المنسي ، ياخبز الكفاف .

أمطر على شفتي يا كوز الفخار

واهبط على قلبي ، على قلبي ، على الارض البوار .

١٩٦٤

الصَّخْرُ وَالنَّدى

كورس :

يلتف صيف الروح بالغبار
ينهمر الجدار ،
طيري وطيري فوق سقف العالم المنهار
ياحسرة في الريح ، يا عصفورة من نار

صوت في الريح :

نار القرى خمدت ، وكفنها الرماد
يا أيها الساري الملتئم بالظلام

ياراكبا عنق الرياح وصهوة الشوق الهمام
من اين؟ وانهمر الندى فوق الغدافد والوهاد .

كورس :

ياطائر النهار
خولة رايات تضيء الافق المغبر
خولة جرح ساهر كالجمر
خولة رمح ساهر كالنار
يشعل في قش الخيام الغار .

صوت اول :

اثخنت في مشتجر النبال
فأدركوني ، قطعوا اوصالي
وعلقوا رأسي على اسنة العوالي

ياصيحة البحر ، وياعواصف الرمال
غطي جبين الشرق بالسحائب الثقال
وأغرقني جوع الثرى ولوعة التلال
وأنبتي قواطع النصال
يقطف منها غاية الامال
فتى بنيران الحروب صال

صوت ثان :

ولمّتُ من مقل الردى رعداً وبرقا
وضفرته لجبينك العربي اكليل ارقا
ياخت معتنق الفوارس ، ما الذّ وما اشقّا
اروى ندى واغص باسمك علقماً مرا واسقى
لهواك مالم يبقَ مني ، ياهواي ، وما تبقى
ولقلتيك كل ما لقي الفؤاد ، جوى ، ويلقى

صوت ثالث :

ياأيها النهر الذي يلمع
تسمع نجواي ولا تسمع .
قرّب وقرّب من شفاهي الماء
أغرق صحارى عطشي الحراء
وقل لاطفالك ان يسرعوا
مثقلة أكفهمّ بالماء
مثقلة غصونهم بالماء .
ياأيها النهر الذي يلمع
ما بيننا الجرف الذي يدمع
ما بيننا الصحراء ..
قرّب وقرّب من شفاهي الماء .

كورس :

يلتف صيف الروح بالغبار

ينهمر الجدار
طيري وطيري فوق سقف العالم المنهار
ياحسرة في الريح ، يا عصفورة من نار .

صوت اول :

الجسد المنطفيء المطحون بالحوافر
باق على الطفوف
والرأس من باب إلى باب على رماحهم يطوف .
فمن يلم لحميَ العالق بالخناجر
وينزع السهم الذي يخترق الخواصر
فتهدأ الروح ولا تهاجر
وراء هذا الرأس مثل طائر ..
.. وحينما استقر بي المطاف
رأساً وحيداً ، مترباً ، مقطوع

في طبق من ذهب ، يذوع
بالمسك والحناء ،
رأيت وجه امي الزهراء
مبللا ، طوال ليل الموت ، بالذموع
ورفرت حمائم بـ
تؤنسني ، طوال ليل الموت ، كالذموع .

صوت ثان :

يتفجر الصخر الأصم ندى اذا نادى المنادي
باسم التي اهوى ، وترتجف البوادي
القا ونجوى .. أيها النبع البعيد
لا تبك في قلبي فان غرامها ، ابدأ ، جديد .
أقمار أندلس الكروم
أسرى سواد عيونها ، وبساط أرجلها النجوم ،
بستان وجنتها يفوح ، وثوبها ذهب ونار

وعيونها في كل داجية نهار
ياأيها النبع البعيد
لا تبك في قلبي فان غرامها شمس وعيد .

صوت ثالث :

أيتها الريح التي تحملني
فوق امتداد القننِ
تغسل وجهي بالندى اصابع السحر
تلمسه أكف طفل مهمل الشعر
عيونه النهر الذي ارضعني
واحتضنت ضفافه طفولتي الشريفة
وقبرات حبي الطريفة .
أيتها الريح التي تحملني
اوقدت في ليل الخيام شمعه
- نبيء وجه طفلة ودمعة

مريرة كالبحر
لا تطفئها ريثما تأتي طيور الفجر .

كورس :

يلتف صيف الروح بالغبار
ينهمر الجدار ،
طيري وطيري فوق سقف العالم المنهار
ياحسرة في الريح ، يا عصفورة من نار .

صوت في الريح :

يا ايها الساري الملثم بالظلام
تتلفت الدنيا لخطوته وتلتهب الخيام ،
انت الغريبة في زمان كل مكرمة لديه بلا تمام
اشعلت في شجر الهموم النار والشوق الهمام .

كورس :

خولة في قش الليالي جمر
خولة في صخر الليالي نهر ..
أيتها الشمس
طاف على الرمح ، وها عاد الى منبته الرأس
حيا ، مكرا ، بيقاً مغبراً .

١٩٦٧

الفِئمة العاشقة

صوت في الريح :

وشممت ثوبك في غبار الريح رايه
ياوردة البستان ، ياطفلي المدلل ،
لو اضمك في ضلوعي
وأشد اذيال النهاية ، وهي تفلت ، بالبداية
وتعود طفلا ، تاجك الاشواك تزهر في دموعي .

أترى اصدق انهم قتلوك ؟
كيف كبرت في ليل الخيام
وشببت غصنا فارعا ، وفما تقبله الازاهر باشتها
ورجولة تتأوه النسماط لو مرت يسربلها الاباء ،
وتحمل الموت المكبل كالنمور على يدك
وتجوس في ادغال ليل اللاجئين ، وحيدة في مقلتك
كضياء قنديل وحيد ، في غبار الريح ، رايه .
أكبرت ؟ ياغصنا تفتح في الملاجيء والصحارى
اطعمته قلبي وادمعي الغزارا
فزاها وما ، كبرت في ليل الخيام ؟
وشببت واشتدت يداك ، وما ارتشفت سوى الظلام
والريح ، وهي ثقيلة تسفي الغبارا ؟

أترى رحلت فلا أراك ،
ولا يحط على فؤادي ساعداك
كحمامتين صديقتين ، ولا تضيء ظلام ليل اللاجئات ،
كما أتيت الي ، يوماً ، مقلتاك :
«أماه جوعان»
كأن عاد الزمان الي الوراء ،
وما تلمست الاصابع غير ثوبك في غبار الريح رايه .

صوت آخر :

رأيته في حربة على عيوني مشرعه
شقت ضلوعي مرة ، ومرة هوت على الجبين .
آخر ما ابصرت نهراً طافح الحنين
يحمل لي كرومه وادمعه .

شدت يدي على تراب وطني
وعشبه المبتل ، ثوبي كفني .
ياغيمة تتبعني
تغفو على جبيني
تضيء لي حنيني ،
تشعل فيه لهب الحرائق ..
يام ، ياخنساء ذاك طارق
يشير لي .. لاتبعه
يفرش لي جفونه واضلعه .

صوت آخر:

رأيته فوهة عمياء
رأيته فوهة ملتهبة

بينهما امتدت خيوط العمر من جديد :
شممت ثوب أمي الندي بالحليب
واشتعلت في اعيني عباءة مخضبة
غطتُ جبين سيد مهيب .
وحينما ارتميت ما رأيت
غير انهدام مئذنه
في اضلعي مستوطنه ،
هوت معي الى قرار دونه قرار ..
يازهرة العرار ، ياسحائب الغبار
دوري معي ودوري .
وفتحي قبوري
خيلا تجوب الشرقا

وتشعل الافق العقيم برقاً .

صوت آخر:

أتى اليّ خلسة ولم اراه
وكنت ادري أنه يأتي ، ولا ادري متى ؟
فهو معي أشمه ولا أراه
كل صباح طعمه على الشفاه .
في كل ليل واطيء السقف ، اجوس ناعم الخطى
شباكه العمياء او حبائله
وأرتدي غباره المثار .
وكلما فجّرت من اصابعي النهار
في فحمة الظلماء مرّ خافتاً ، رقيقاً
بالقرب مني ، كدت ان الم من عيونه البريقا .

ومرة صفعته على قفاه
واشتبكت اذرعنا ، دقيقة ، وانفلتت يداه
وغرّمني ناعماً ، مقهقها ، في غمرة الغبار
فكيف جاء
ولم اره ؟
واحسرتا لم ابصر الذعر الذي يلف مظهره .

الحافر والنبض :

تلتفّ في الروح الغصون ثقيلة ، ويسف طائر
يطوي البراري الموحشات بلا مسامر
ويشم رائحة البحار ولمعة الماء المسافر .
يادقة في الصدر ، ياصخراً ترن به الحوافر
من اين ؟ واخضرت فلاة الروح ، مزهرة المنائر .

لا تسبل الهدبَ الطويل
يامن يجود مع الاصيل
ببقية في الصدر عالقة كآخر ما يسيل
من ماء قربتك التي ثقبت ، .
أتسمع كيف يطوي البيد حافر
تلوي عباءته الرياح ، وتشرئب له النخيل .
لا تسبل الهدب الطويل
يأتي اليك محملا بالماء ، نجدي البشائر
يأتي فتشرق بالقنا هذي البوادي والحواضر ،
يادقة في الصدر ، تصمت مرة ، فيفر طائر .

١٩٦٧

جذور الريح

يا فتى ، بالله خبر كيف جاء
طائر الموت الى عينيك مثقوب الجبين ؟
وانطوى والتف كالخيط على الجذر المضاء
جلدك المحروق في جمر الحنين ؟
زرقت يوما وفي عينيك شمس ونجوم
وعلى الكف ندى يحمل امواج الكروم ..

برهة خجلى ، واصدت في الزقاق الخطوات
وهوت كالصخر ، فوق الباب ، ايدي الغرباء ..
يافتى مر طعام الذكريات
غير ان الريح هزت قمر الشباك في ليل الشتاء
يافتى ، بالله خبر كيف جاء
طائر الموت الى عينيك مثقوب الرداء ؟
(اشم شواء لحمي في عيونك ، استلذ النار تأكلني وتتركني
رماداً في مهب الريح تعصف بي ، وتنتثرني .
فياوطني
ترابك تاج رأسي ، قرّة العينين ، ثوبي الرث او كفني
فلا تهن ..)
عائد انت الينا حينما يهمني السحر

مطراً من برتقال ،
حينما يطفو القمر
مثل طيارة طفل فوق امواج التلال .
لا تبال
أحرقت عيناك لحمي ، لا تبال
يا زمان البرتقال
مثلاً يحمل ، في عتمته ، الجذر النهار
مثلاً يحمل ، في رحلته ، النسغ الثمار
عائد انت الينا يا زمان البرتقال .
(وتلسعني
عيونك مثل حد السيف
فأهتف : خبزي المسموم وجهك ، عشبة مهزولة في الصيف

فخلي الريح تعصف بي وتحملني
رعوداً او بروقاً ، ولتشب النار في سفني .
عائد انت الينا
نخلة فرعاء تمتد علينا ،
راية نجدية ملء يدينا .
عائد انت الينا
حيدراً او عقبة
تمتطي الريح خيولاً متربة ،
قبضة تنزع ، يوما ، خيبرا
تمتطي الريح الى حطين مهراً اشقرا .
(قرأنا وجهك المهجور في الحفر
قرأنا وجهك المخفور في صخر الفؤاد الجائع العاري

وأمسكت الاصابع والشفاه بجرفك الهاري ،
وأرعدت النرى في القاع ، وانحدر الهشيم بكل منحدر
وبين توهج النيران تفتح طرفها زهره
فاهتف : زهرتي ..

وتلف وجهي غيمة ثره .
يافتى ، بالله ، خبر كيف جاء
طائر الموت الى عينيك مثقوب الجبين ؟
سقطت طيارة من ورق اخضر في خندق طين ،
سقط النارنج ،

والجلد الذي احرقه جمر الحنين
ابدا يلتف كالخيوط على الجذر المضاء .

١٩٦٨

طوق الحَمَامَة

(تبدأ الذكريات
نومها المخملي الطويل
في حنيني ، وترخي عناقيدها المترعات
تحت ظل ثقيل ..)
يحمل نجواي غدير طافح بالشمس والزنابق الكبيرة
تفرش لي نجومها الظهيرة

صحت : أيا سعاد
صحت : ايا غانية يلفها السواد
ومأت لي أن أفتح الباب ، وأن أغوص
في ظلمة البئر ، وان اطرد منها الجن واللصوص
فخلف اي باب ،
مضمخ بالطيب والحناء ، من ابوابك الثلاثة الثقيلة
تتمع البئر كعينيك المخيفتين في مرآتك الصقيلة ؟
صحت : ايا غانية محلولة القميص والجديلة
وراء صمت الباب والحجاب
يفوح منها المسك والخضاب .
في بابك الاول تبني عشها يمامة مطوقة
خضيبية الارجل والمنقار

تأتي على هديلها غمامة مغرورقة
تحمل دمعاً او دماً : ايهما اختار؟
في بابك الثاني حصان جامح ، مغسول
بالعرق الناضح ، لا اعرف ان كان هو البراق
او فرس الريح التي يقطر منها دمي المراق
تلمه في راحتها امي البتول .
في بابك الثالث افعى غضة الاهداب
عيونها النعاس في مدائن البخور والضباب
تهمس : لو ترشف هذا القدح المترع بالرضاب
تهمس : لو تغفو طويلاً ايها الجواب .
يحمل نجواي غدير طافح بالشمس والزنايق الكبيرة
تفرش لي نجومها الظهيرة .

(تبدأ الذكريات
نومها المخملي الطويل ..)
صحت على اسوارها : اتيت
كالحى او كالميت
اخجل ان اطرق هذا البيت .
صحت : أيا سعاد
ينعب عندي طائر السهاد .
قلبي مع الغزلان في الوهاد
فمن ترى ينزع عنه الشوك والقتاد ؟
أوراق حبي مزقتها الريح
وطوحتها في زوايا العالم الفسيح ،
فمن ترى يلمها

يصنع منها زورقاً ، طيارة
تطير بي فوق سطوح العالم المنهاره
وصمته المنخور؟ كان الجسد الطريح
في ظلمة القبر وحيداً ، مترباً يصيح :
من ذا الذي يطرق باب الريح ؟
(تبدأ الذكريات
نومها المخملي الطويل
في حنيني .)
رأيتها وحيدة في عتمة السرداب
مكشوفة الثديين ، في رقادها ، مسبلة الاهداب
ينحسر الظلام عن حقولها ، ينحسر الضباب .
قلت : انهلي ياشفتي المحترقة

خمرتها المعتقة
قلت : اهداي يانار
فهاهنا تلقى عصا التسيار ،
وترقد القوافل التعبى ، ويغفو الركب
في ظل هذا الهدب .
عبي ، وعبي الآن ياشفاهي الحرار
فبرد هذا النبع يروي غلة القفار .
وامسكت اصابعي بطائر الابد
فاختلجت اهدابها ، وانتفض الجسد
وابتسمت ، وهي تغطي في يديها عري ثدييها
وقالت : ما الذي تروم ؟
قلت : شريد ، جائع ، مهزوم .

قالت : انن جئني بعنقود من النجوم
وحفنة من لؤلؤ الغيوم .
وانفلتت تصلح من ثيابها المنحسرة
مسحورة ، منبهرة .
كنت على اسوارها اصيح :
ياشمعة تلهث في ضريح
ياكرمة تطعم نهديا نئاب الريح .
قلبي علاه القش والغبار
كنت شريداً ، جائعاً ، منهار
وحدي على اسوارها اصيح :
يا حسرة ضائعة في الريح .
(تبدأ الذكريات

قومها المخملي الطويل
في حنيني ، وترخي عناقيدها المترعات
تحت ظل ثقيل .)

١٩٦٧

العيش انتظارك

اوقد كل بيت
مصباحه ، واشتعلت في الغابة النيران
والتجأ الطير الى اوكاره والوحش والانسان
وكل مخلوق الى مخبئه عاد ، وما أتيت
الريح في الشارع كالسكين
وانت كالعصفورة الصغيرة

اخشى عليك فالظلام كله مخالب شريره ،
أود لو اطوي عليك ساعدي ، انني حزين .
في امسيات الصيف نستقل قارباً ، وناكل المرطبات
في غسق العشية البيضاء
وسط جموع الناس او نرقص في الساحات .
وعندما تخفق في الصنوبر الصاعد كالايات
فراشة المساء
في اخريات الصيف ، في حديقة ، يدفعنا الحنين
كالريح حين تدفع الشراع والسفين
الى السرير ، في بنفسيج الظلام باقة قوية العبير .
ونحن في الخريف بعد «المسرح الكبير»
يحملنا «الافتوبس» المتعب او نركض ضاحكين في المطر

يلمع في عيونك الضوء ، وفي غرفتنا جرائد اليوم على السرير
ونشرب النبيذ في فراشنا ونسمع المطر .
أرخيت في غرفتنا الستائر الخضراء فلن يلمحنا الجيران
والتجأ الطير الى اوكاره والوحش والانسان
وعاد من ضبابه البعيد
صغيرنا اللعوب ، والثلوج في الطريق والرياح
وهدما ، عودي الي يايمامتي ،
الشفاه كالورود تنبل
والوهج في العيون .. يخبو مثلما النجوم تأفل
وفي الضلوع يزحف الشتاء بالجليد والنواح .
الشمس للمغيب
تميل والطيور والرياح

ترجع من رحيلها ، وفي المساء يلتقي الحبيب بالحبيب .
أيامنا تجري كما تجري المياه من اصابع اليدين
عودي اليّ يايمامة الغريب
عودي اليّ الآن في شحوب ساعديك كالحليب
فحينما أهرم لن تقوى الشموس في يديك ان تذيب
ثلوج ايامي الاخيرات ، ولن تطلع في كوكبنا الزهرة مرتين
عودي الي فالشتاء وحده يفتح لي يدين .

١٩٦٥

النهاية الثانية

(مر صيف آخر ، والتهم الموقد الواح السفينة
فاركب الجذع المقيم
ايها النورس في مقهى المدينة ،
ايها النخل الذي يحمل في الجذر حنينه ..
وانثر الملح على الجرح القديم)
حينما تنطفئ العشبة تلقاها عيوننا ووسادة

طرزت وحشتها تلميذة كسلى بأزهار حرير
وسهام سبعة تخترق القلب الغرير ،
وفراشات مسجاة واوراق زهور وقلادة
ابدا منسية في برج الذكرى الصغير ..
حينما تنطفئ الشمس تخاف
قطع الجيران والشيء الذي خلف السياج
ابدا مرسومة بالاخضر الزاهي النعاج
ابدا كالنخل اعشاب الضفاف .
مرة واحدة لم تنس ان تقرا في همس مهيب
قبل ان تطبق اجفان الضياء
اية الكرسي او تشرب كوبا من حليب
مرة واحدة لم تنس : : انا في الشتاء

ينبغي ان تحذر البرد اذا حط المساء .
كبرت ؟ اثوابها خفق الفراشات على وجه النهار
واسمها الازرق مكتوب على كل جدار
كبرت ؟ هل تكبر الشمس التي تضحك خضراء العيون
فوق سبورة اطفال صغار ؟
كبرت ؟ هل يكبر الطير الذي يسكن في اعلى الغصون ؟
(اركب الجذع المقيم
ايها النورس في مقهى المدينة ،
ايها النخل الذي يحمل في الجذر حنينه ..
وانثر الملح على الجرح القديم .)
غرفة الفندق هل ابقت لفافه
فوقها من حبة الخوخ احمرار ؟

تراها خلفت سرا صغيرا او خرافة :
عض ريشات فلمنكو او سشذى من جلنار؟
قير : في صيف البحيرات رايناها وحيدة
تنثر الخبز لسرب البجع الاسود او تسمع موسيقى بعيدة
وهي تأتي فوق سطح الماء زرقاء النخيل .
قيل : في احداقها آخر ليل المدن الخضراء السعيدة .
قيل : كان الهدب مبتلا طويل .
شربت قهوتها المرة في مقهى المطار
وعلى اكتافها يخفق فجر المدن الاخرى الهزيل ،
كان خلف الحائط البلور وجه مهمل الشعر ، نحيل
وبنظارة شمس ، ووشاح متخم ، ضاف ، ثقيل
مثل هر مترف اغفى على السجاد في شمس النهار .

فخلة الله

أترى رائحة الجذع الذي ابتل طويلا بالمطر
أترى رائحة العشب تفوح
في رخام الروح ،
او في خيزران المقعد الناعم في مقهى الهرر
خلف هذا الحائط البلور؟ كان الهدب مبتلا ، طويل
أم ندى الصبح ، ترى ، بلل وجها وشعر؟
كان في الثغر مذاق الثلج والمانجو ، وفي الباب سهيل
فرس البحر التي تقنحم المقهى واكواب الطفولة ،
وعبير الكرب المحروق ، مبتلا ، يفوح .
مر صيف آخر والعش في اعلى الشجر
وغصون التوت ما اهتزت ، وما اسقطها غير المطر .
طير بنت الملك الاخضر لم يلمسه كف او حجر

فالتمس طيراً سواه .
أه من يطرق باب الريح ، أه
من يبيع الماء في عز المطر؟
مر صيف آخر والتهم الموقد اوراق السفر
فاركب الجذع المقيم
أيها النورس في مقهى المدينة
أيها النخل الذي يحمل في الجذر حنينه ..
وانثر الملح على الجرح القديم .

١٩٦٧

ثوبي القديم ، عليك ، يخفق في الشمال
مثل المسيح ، وطعم بين وارتحال
في تمرك المهجور للغربان والريح الثقيلة بالغبار
تسفي عليه من الشروق الى المساء
والظل مثل البيرق المهزوم ، اين هم الصغار
يتسلقونك مثل اطيبار السماء .

من قبل ان تشدد انرعنا وتلفحنا الظهيرة
كنا نمد اليك ايدينا الصغيرة
متوسلين فتمطر الدنيا عطايا
فندوق ، قبل الطير ، تمرا قد توهج كالمرايا
وأسرة العشب الوثيرة
في ظلك الضافي البرود يلفهنّ شذى الصباح
يانخلة الله الوحيدة في الرياح
في كل ليل تملأين علي غربتي الطويلة بالنواح
فأهب : جنتك ... غير اني لا اضم يدي وحببي
الا على الظل الطويل ، ولا امس سوى التراب .
وانا وحيد مثل جذعك ، ظلّ يلفحني الغياب
وأجف نجما شاحبا او عود عشب .

يانخلة في الريح كنت اقول : يا قلبي الولوع
من بعد عام او يزيد اعود ، تسبقني اليها
خطواتي المتعثرات ، فكل ما ضيعت باق في يديها .
فاذا اتيت فأني شيء ظل منك؟ وأي شيء في الجنوع؟
كانت ليالي الصيف ، عندك ، مثقلات بالغناء
مثل الغصون المثقلات ..

وكنت ادخل حين اغمض مقلتي ،
من وسوساتك جنة ملتفة الاوراق ، خضراء الضياء
وأفئق استبق الطيور ، وفي يديا
مما يرش عليك ليل الصيف ماء .

فاذا أتيت فأني شيء ظل منك؟ سوى الرماد
في كوخنا المهجور ، والريح الصفيقة في الوهاد

تلهو باوراقى . اكانت كل اشواقى هباء ؟
يانخلة فى الرىح ، كان يشد اعيننا انتظار
مترقبين مدى النهار
ونعد ما يصفرّ ، فى وهج الظهيرة ، من ثمار
فاذا تهذبت الشموس عليك امطرت السماء
تمراً توهج ، ملء ايدينا الصغيرة ، كالشموع
فاذا اتيت فأى شىء ظل منك؟ واى شىء ظل منى؟
شاب الصغار وشابت الدنيا اللعوبة ، غير انى
يانخلة فى الرىح ، كنت اقول : ياقلبى الولوع ..
فاذا اتيت فأى شىء ظل منك؟ واى شىء فى الجذوع !

١٩٦٤

تتيانا الكساندرفنا

كان خريفا احمرأ منذ سنين خمس
يطفح غضا ، ناعما كالهمس
حين التقت عيوننا ،
وامتزجت شفاهنا ،
للمرة الاولى

عبر غصون الشوح ، في حديقة المعهد ، كان الشوح مبلولا .
في آخر الدرس انسللنا دون ان ندري
ودون ان نحفل في امر
ولم نكن نعرف ايانا
من انت او من أنا ؟
وكل ما نعرفه اننا ..
كان خريفا .. أه تتيانا .

حين يدور الثلج في الضوء ، ويصحو الشجر النائم
تفتل الريح على السطوح مثل النغم الناعم
وتعبق الغرفة بالتبغ وبالكتب ،
سمع من ينقر فوق الباب ، يأتي مسبل الهدب :
شعر المحلول ، منذ برهة ، ينصب كالجدول
والشفة السفلى التي تمتد مثل الغصن المثقل
تتهم الوجه كما تلتهم النيران
هشيم عشب مهمل ، مهمل ،
شفة الهائلة العمياء مثل الزمان .
في آخر المقهى انزويننا ، مرة ، في الشتاء
لقالس يدعوننا فما نسمع دعواه
لبونش حتى آخر السهرة ما امتدت يد تطرق منفاه

كانت يدي تعرق في كفك تخبو مثلما الوريقة الصفراء .
وأورقت حديقة المعهد واصفرت مراراً ، مرار
ومثلها اوراق واصفرّ فؤادانا
ولم نعد نعرف ايانا
من انت او من أنا ؟
وكل ما نعرفه اننا ..
وكان صيفاً .. أه تتيانا
في اول الدرس التقت ، من غير ان نعلم عينانا
ودون ان نحفل في امر
في آخر الدرس انسللنا دون ان ندري
وامتزجت شفاهنا ،
للمرة الاخيرة
عبر غصون الشوح ، كان الشوح مبتلا ندي الشمس
وكان صيفاً اخضرا بعد سنين خمس .

١٩٦٦

القِسْ

كلما ناديت ذاك الجرف عاد
صوتك الخابي مع الريح وامطار الرماد
ومع القش الذي غشى الوهاد
وطيور كمناديل الحداد :
بحة الهائم في نهر البكاء
تقتفي خطوك في كل مساء ..

عائداً تخفق اطمارك ، مهزوماً وحيداً
تحتمي بالظل ، محموماً طريداً
قمر السعف المندي ،
عاد في الكأس التي تشرب طينا .
هـ خل الريح تستفّ الجبينا
فرّ ذاك الطائر الاخضر ، في البرديّ غاب
عبثاً تبحث في القش المغطى بالضباب .
لا تقلب طرفك الحائر ، لا تسفح دموعك
انها الريح ، وقد اطفأت الريح شموعك .
لا تدق الباب ، فالباب جدار
نيس خلف الباب الا ورق الامس واكفان الغبار
كل ما تلمسه كفاك : نؤي وحجار

وهشيم ذبلت اوراقه بعد انتظار .
قمر الشاطيء والنخل ، الذي يهمني رذاذا واخضرار
عاد في الكأس التي تشرب طينا .
تحتمي بالظل ، محموما طعينا
كلما ناديت ذاك الجرف عاد
صوتك الضائع في الريح وامطار الرماد .
وبحيرات السهاد
ابدا تطفو على امواجها السحب واوراق الشتاء
وطيور كمناديل الحداد
تشعل الافق بكاء .
ايها العائد في ليل النهار
لا تدق الباب ، فالباب جدار

نه القش الذي بعثر في الوجه كذرات الغبار
نه القش المثار
تلك العشب المندى بالمطر
مما تأوى العصافير الى اعشاشها ، تأوى اليه
وكفصن اسقطته الريح من عالي الشجر
ترتمي بين يديه
تلك العشب المندى بالمطر
هب في كل مهبّ وانتثر .
حفنة الريح الاخيرة
بدأ يحملها العائد في ليل الظهيرة

١٩٦٦

وقت للحب ووقت للتسول

« في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ،
طلبتَه فما وجدته . »

« الليل يطول واشبع قلقا حتى الصبح »
« اين الطريق الى حيث يسكن النور؟ »

[١] - سوناتا

شتاء .

يادثاراً كان من برد يغطيني
حننت اليك ، قلت : اشاه ، والاموات ان جاعوا وان عطشوا
فما من عابر يدري سوى الاشباح والطين .
تدور الارض بالاشجار والاحجار والسكك الحديدية وزحمة
المدن

وتنفثل العواصف في الذرى ، والثلج ينهمر
وتخفق في الظلام فراشة او يرتمي قمر
وتزدحم الحدائق والمرافىء بالحفيف وصيحة السفن
ووجهك في الزحام تراه يلمحني
فيعرفني ؟
اما من قوة في الارض تحملني
اليك ؟ جريدة حمقاء او خبر
صغير عن حذاء اميرة شمطاء يطوي كل ناحية وينتشر

وَبَقِيَ لاصقاً بالارض ، اصرخ من يغطيني
و هتف في الظلام : اشاه .. والاموات ان جاعوا وان
عطشوا
مع من عابر يدري سوى الاشباح والطين .

[٢] - اغنية

٥ توقظ الجرح الذي نام على الغضا
ولا تناد عالماً مضى
سفينة الرماد
تحمل امواتاً بلا معاد
فيس خلف هذه الاسوار من نهاب
ويس بعد الموت من اياب .
يزبدا يطفو على العباب

هل من يد تفتح لي اغذية او باب ؟
البرد في الطريق والامطار والضباب
هل من يد تفتح باباً ؟ انه الشتاء
وليس غير الورق الميت والسحب التي تكفن السماء .
ايتها الشمس التي تمرح خلف هذه الهضاب
ايا عروساً في حرير النوم يامسبلة الاهداب
اود ان ارفع عن جبينك النقاب .
الفقر والبرد رفيقا رحلتي ، الفقر والشتاء
وهذه السحب التي تكفن السماء .
يازيد الشاطيء ، ياذباله المصير
هذا الصدى النائح يقتفي خطاي حيثما اسير
اسحب اقدامي على ارصفة الوطن

جر اطماري ، اجر خلفي الكفن ،
هذا الصدى النائح يبكي من ؟

[٣] - في مقهى البرازيلية

تبينت وجهك عبر الزجاج
ورفرفة الليل والسابلة
وكان لاخرى . وبين الزجاج
وبيني اضاع الهوى ساحله .
فما جئت ، يوماً ، الى غرفتي
محملة بالزهور ..
وكالموج صدرك ملء القميص
كأن لم يفح في الفراء الوثير
وفي الشعر نفح الثلوج ..

كأن ما احتوت قبضتاي
نعومة اكتافك العارية
وما انساب عنك الحرير
وما اقمرت غرفتي الداجية
او انهار ، فوق البساط ، الوشاح
كما انهار ، فوق السرير ، الصباح .
تبينت وجهك عبر الزجاج
ورفرقة الليل والسابلة
وكان لآخرى . اما من زجاج
يصيب الهوى عنده ساحله ؟

[٤] - الشتاء

شعرها المبتل ، محلولا ، على وجهي انهمر

أنا تحت الغطاء وارتمى معطفها الناعم كالغصن ثقيلاً بالمطر مزهوا
نقت به الريح على العشب المضاء ، وشممت الثلج في دف الفراء
كبقايا النغم العابق في القاعة ،

وانهار الستار

جائعا المحني ، اسحب في الشمس حذاء هراءته الطرقات ، تجد
الغربان والديدان والوحش وطير الفلوت يجد السانح والبارح انثاه
وابقى في انتظار تسفح الريح على وجهي الغبار وأعب الشاي في
المقهى ،

ويلتف النهار

في فراء النسوة الملتهبات
وانا اسحب في الشمس حذاء هرآته الطرقات .

[٥] - ليلة قرب غابة الصنوبر

عبير ناتاشا ، سهوب ، عتمة ، غابات
في ليلة امطرت السماء فيها ساعة ، ، واشتعلت باقات
من انجم كبيرة تنوشها الايدي كما تنوش في الحديقة
التفاح ،

رائحة العشب الذي تلتهم النيران ،
القبل العمياء ، برق اخضر النباح
وحفنة من كرز وخوختان
«خذني اليك . كان في الحديقة التفاح
يسقط ، خذني ، هكذا ، كامرأة تعصف في ثمارها يدان ،

فتملاً العجوز بتروفنا سلالا ، كانت السماء
زرقاء ، زرقاء بلا انتهاء .
خزني اليك . كان في الحديق ...»
نامت وما اغمضت جفناً ، والشذى الطافح في العراء
غمامة .. نبهها الرعد الذي صك نرى الغابات وانتشر
فخبأت وجهاً صغيراً ، ناعماً عندي ، وفي الاعشاب والشجر
رائحة المطر .

[٦] - يوم غائم

عروس الثلج في الغابات هائمة ، وفي المطر
أعانق منك ظلا في سماء ، شمسها ذهب
وأحذية . وفي البحر الطيور يهدها التعب
على موج تكور نهده او فر كالاكر ،

وترتجف النساء عذوبة في المركبات تجوب دنيا غير دنيانا
وتجهش رغبة او لذة في ظلمة السرر .
وينهمر الشتاء يلف معطفك الندي بما تنوء يداك من زهر
شممت شذاه ذات ضحى ويلهث في الطريق الباص تعباننا
وثنبتُ كل واجهة حديقتها ،
ويشمخ ردفها تيتها وعدوانا
وعبر زجاجها المبتل تلتف الغصون وترتمي ذهبنا
وأحذية فادفن في جرائدهم جبيننا غائماً ، تربا .
تموء يداي ، في الطرقات ، كالهـرر
وتلتهب النساء وحيدة في ظلمة السرر ،
وفي المطر
اعانق منك ظلا في سماء شمسها ذهب .

وفي دفاء المعاطف ، والطيور يهدها التعب ،
تخبيء كل واحدة حديقتها الثقيلة بالشذى والهمس والثمر .

[٧] - الثلج الاول

النورس الابيض في البحار ،
ليل في حان قديم ، منزو ، ، ثرثار ،
رائحة البيرة ، طعم السمك المملح اليابس في الشفاه .
باردة كفك . ملتفاً ، بعيداً ، غامضاً اراك
تهرب من اصابعي يداك .
كان التطام الموج خلف الحائط المنهار
يعلو كقلب خائف ،
المنذهبن الان ..
اشعلت غليونك ؟ أه الثلج ، ما الطفه ! رباه

اول ثلج ..»

طعمه في الشعر المحلول واشفاه
في غرفة عابقة بالتبغ والاكاسيا ، مفتوحة الشباك
على الخليج العذب ، كان الثوب ملقى دونما اهتمام
كنورس ابيض قد ادركه المنام .

[١] - سفيتلانا

غبرة تلتف بالروح ، وموتى يعبرون
بابك المفتوح كالافق ولا يلتفتون
وعلى موج من التانغو الحنون
تبحر الغرفة والنخل ..
ويطفو قمر الثلج البليل ،
رغوة الشمبانيا الرائقة العذبة في الكوب النحيل

وثياب السهرة المنحسرة
وغصون القبل المنهمرة
والشذى الهائم في غابات سرو مقمرة ..
لا توقظ نوؤماً تسبل الهدب الطويل
وعلى وجنتها الغضة ذابت شفتاك
وطوال الليل هامت ، في براري ظهرها الساجي ، يداك .
اغمضت طرفاً وأبقت شفة تلهو على صدرك كالهر الكسول
وعلى وجهك والزند العجول .
كان ليل ابيض يغفو ، وناس يلغطون
وعلى موج من التانغو الحنون
تبحر الغرفة والشارع والثلج الهتون ..
اغمضت طرفاً وابقت فوقها المصباح مفتوح العيون .

غبرة تلتف ،

لو امطر غصن او غمامة
لو تغنت في ظلام الريح والنخل يمامه .

[٩] - ورقة من بيت الموتى

الزبد الضائع في البحار
والورق الميت والغبار
آخر شيء قابع في جعبة الممثل المهزوم .
منفرداً اراه
يحلم في مقهاه
يلتف في معطفه المهترىء القديم
يشد في غيظ على الكأس ، ويهذي غائباً ، محموم .
عرانس الغابات من اوكارها فرت ، فمن يحوم

في منزل الاموات غير البوم ؟
اوديت في بحيرة البجع
اسيرة الريح الى الابد ،
فمن يدق بابها ؟
ياحفنة الزبد
يالها يلتهم الجسد
عرانس الغابات فرت : انه الشتاء
يطمر في ثلج الليالي الارض والسماء
ليحطم الممثل الفاشل في مقهاه
لتحترق يداه
وراء هذا القمر الذائب في المياه ،
تطفو على سريره النوارس الموتى ويصحو البوم

منتحبا يحوم .
ليصرخ الممثل الفاشل ما يشاء
في وحشة العراء .
اوديت في بحيرة البجع
اسيرة الريح الى الابد .
ليصرخ الممثل الفاشل او يغرق في البكاء
العربات اقلعت ، ليلا ، وابقتة على رصيفها طريح
وليس غير الريح
تدور ، لا تحفل في شيء ، وتلتف على اعمدة الضياء .

١٩٦٧

الكهف القديم

ها أنا ابحت عن وجهك في دغل كثيف
يحرق الملح شفاها مرة مني ، ويأتيني حفيف
ثوبك المنقوب في الريح ،
(قرون من مطر

وبروق ورعود
احرقت ارضي وعرتني حتى الطين ، جذر من حجر

كل ما ابقت لي الريح ، وجذع فيه دود
فابتعد عنا فما في الكهف شمس او قمر
ه يا قبرتي الصفراء .. جذع فيه دود .
د لو ادخل في الكهف المخيف
شاب دغل حوله والتف صيف وخريف
د لو ادخل في الكهف ، لهيب القطب فيه
وتلوج القيظ فيه
ترى ادخله يوماً ..
(كبرنا ياصغيري
سقطت اوراقنا الريح وعرّانا المطر
حطب روحي وقش في الاعاصير حريري
فابتعد عنا ففي الكهف افاع ونمور وحفر)

ايها الكهف الذي يلتهم الروح التهاما
مترع ابريقك المفخور بالماء الذي يطفئ قيعان الجحيم
مثقل صدرك ملتف بخيرات النعيم
فاسقنا من ريقك المعسول امطرنا غصونا او غماما .
ايها الكهف الذي يلتف بالدغل الكثيف
ايها الكهف المخيف
نحن في الريح عصافير يتامى
فافتح الباب ومزق عنك ، يا حبي ، النصيف
واعطنا من ثمر الجنة ..
(اعطينا فما امتدت يداك
وفتحنا الباب ، يا طفلي ، ولم تخفق على الباب خطاك .
اه كان الدغل يلتف ، ويلتف الزوان

وتجوع الارض في نل الى مسحاة فلاح ثقيلة
تكل الملتف من دغلي ، وتمتد عميقاً في فم الذمر المهان
وتدوس الطين بالاعشاب او تكسر اعوداً طويلة
ويلوح البرق والرعد ، وتأتي الريح بالسحب الثقيلة
وتئن الارض في نل ، وينصب المطر ..
آه حتى يطلق الطير جناحيه الى شمس البساتين الاخر .
لعصافير اليتامى
عند اعتابك ياباب المغارة
والضحى اطبق عينيه وناما
آه فلنذهب الى الكرمة او نبن بيوتاً من حجارة ..
ها أنا طفل على النخلة اصحو وانام
ها انا احمل «اكباد» اليمام

فافتحي الباب وخلي الريح تطوي زهرة الثوب الشفيف ،
أه ياكهفأ مخيف
شاب دغل حوله والتف صيف وخريف ،
ها أنا طفل ،

أفيقي ياطيور

وانثري ريشاتك الخضر ،

(كبرنا نحن ، عرانا المطر

كل ما في الروح : ماء وصخور .

عشنا ، في آخر الليل ، انتثر

في عويل الريح ، فرّ الطير ، ياطفلي ، ولن توقظ نجواك

الحجر

فابتعد عنا ففي الكهف افاع ونمور .)

بها الكهف القديم
ها أنا اعوي على بابك كالذئب ، ، طريداً استجير
ها انا في نزع الروح الاخير
في يدي النار التي تنفخ روحاً في الهشيم ،
ها انا وحدي اطيير
في الضحى المغسول بالامطار ، محمولا على طيارة الطفل
الصغير ،
وأنا اعوي على بابك ، يا حبي ..
(حقوق من رماد
كر ما ابقت عصور النار والثلج ، وبيت عبثاً ، يوقظ موتاه
المعاد ،
ها هو البحر : مياه وصخور

قابض انت على الريح ، فلن تخفق في الريح الطيور
فابتعد عنا ففي الكهف افاع ونمور ..)

٩٦٨

البيدوع

تحير الدرويش بين عالمين
محترق اللسان واليدين
كجذع نخلة قديم
منجرد عقيم .
يشد عينيه الى الوراء :
لا شيء غير حفنة من زبد البحار

وما تثير الريح من غبار
والارض والسماء .
يشدُ عينيه الى الامام :
لا شيء غير كومة العظام
وجرة مكسورة تغور بالظلام
والارض والسماء .
ليس كما ينسحب الموج عن الرمال
ليس كما تنهزم الظلال
ليس كما تذبل اوراق الشجر
ينحسر الماضي ولا تحس كيفما انحسر ،
يمضي ولا يترك خلفه اثر
كزائر الخيال

كطائر حط وفر دون ان تدركه يدان .
فليس من ثمالة في القدح .
وليس من طعم على الشفاه واللسان
من فرح او ترح .
ياقاعداً مسافرا
يا حائراً
يجفُ كالعشب على قارعة الظهيرة
يمدُ كالشحاذ راحتيه بالسؤال
مستجدياً برودة الظلال
والزرقة الشهية المثيرة .
تسحب ذلك الطويل
كأنه البيارق المهزومة المعفرة

تجرها الكتائب المبعثرة
في غبرة الاصيل .
يا قبضة من يابس الزهر
يا طائراً على سفر
في الليل والنهار ،
بأي شيء عدت غير غيمة من الدموع ؟
فلن تبلّ هذه الجرار
تسفع اكواماً من الغبار
ولن تهز فحمة الجنوع .
يا طائر الربيع في الرماد
يا عطشَ الترقب الطويل والسهاد
ماذا وراء الظل والظهيرة

والزرقة الشهية المثيرة؟
ما نفع ان تمسك بالفرصة او تفوت
ما نفع ان تعيش او تموت؟
ياحفنة من النغم ،
من الصفاء الازرق العجيب
لا تعرف التكرار والسأم
وطعم هذا العالم الرتيب .
ياحفنة من اللهب
يحملها الدرويش اينما ذهب .
ياحفنة منتثرة
من العظام النخرة ،
ماذا وراء الرقصة الاخيرة

ياحفنة نثيره ؟
لا توقظ الصمت ، ولا تعانق الدخان
ولا تحطم جرة الزمان ..
لا شيء غير حفنة من زبد البحار
وما تثير الريح من غبار .

١٩٦٦

قَهْوَةُ الْعَصْرِ

النهر في الظهيرة

كدمعة كبيرة

يجري ولا يجري ، واوراق النخيل مثقلة

بالمطر المحموم والغيوم فوقها مهدله .

يا امرأة خضراء كالاوراق في المطر

يا امرأة حبلى ، اجوع في ظهيرة بلا ظلال ،

تأكلك الحمى على الرمال

مهجورة الثديين ، يا جنية طويلة الهدبين كلما انحنيت

وذقت ملح البحر في الشفاه والشعر
وددت لو بكيت .
تأكلني عيونك المشتعلة
كالضوء في المطاعم المبتذلة .
يجف فوق اسقف الاكواخ يقطين ليالي الصيف والقمر
حبلا من الرماد والهشيم
تعصف فيه الريح بعد حين .
قالت : يذوب الثلج ، يسقط المطر
وتورق الاشجار كل عام
والقلب لا يورق الا مرة واحدة ، ونحن لا نولد مرتين .
قلت : اذا ما انهمر الظلام
وأمطر السحاب دمعتين ،

اشم في قريتنا رائحة الدخان .
(وعندما عدنا ، وبرتقالة المساء
يلهو بها الاطفال في الشارع ، كان في الحديقة الغناء
يلتف كالوردة في انطفاء
وقال لي : نوال يانوال في يدك رجفة ، اتشعرين
بالبرد ؟
كان في عيونه الشتاء .
القي على كتفيّ كفيه ، وكان شاحبا حزين
وحدقت عيناه في السماء
في النهر ، في الصمت طويلا ، كان من اصابعي يسيل
كالثلج . كان الشارع الطويل
يمتد مرشوشا وتمتد عليه جثة النهار .)

والتفت الغابة في انتظار
كذمرة يبرق في عيونها الشبق .
تهدل السحاب ، دوى الرعد في القلب من الغابة وانفجر
وانهمر المطر .

فالتمع البرق على الورق
وفي عيون الوحش كالنيران في المرايا
تشب او تلمع فوق اوجه بللها العرق
في غرف البغايا .
وفي انتظار خطوة الربيع
نطبق اجفانا على التراب ،
نطبق اجفانا على الشوك ، على الصقيع
تحجرَ الجليد في حفائر الطريق ، والضباب

على نرى التلال والصخور .
ما انشق في الغصون برعمُ
طفل ، ولم تنفجر البذور .
ناء في الجذور ، صوته العميق مبهمُ
نسمعه كالسيل في الحلم يهز الجرف ، حينما نفيق
نود لو نبقى نياماً .. آه لو يخضر برعمُ
و نسمة بالخضرة القمراء تنسمُ
نو نسمع المياه في الحلم ولا نفيق .
وفي ربيع الارض ، في ربيعها الاول كان الرعد والمطر
ينصب اياماً ، وكان الشوق في السيول
يهز قلب الطين ، والسماء في خفر
تخضُر كالغدير فوق الماء والسهول ..

عندئذ تصعد كالفراشة الشمس على النهر .
وفي الشتاء ، ساعة الشروق
نطبق بالايدي على الشمس ، على تفاحة حمراء
في طفولة الحقول ،
وقطرة واحدة تشبعنا وعود حندقوق .
وازرق نصل الليل في اوائل السحر
وفي مهب الريح ، في مفترق الدروب
توقفت خيولنا العجفاء في الحفر
باركة في الطين ، عبر وحشة السهوب .
ولو رأينا اي شيء يشبه الشجر
كنا احتطبناه وفي الظلام
لا تعثر الايدي على شيء سوى الصخر ،

والريح تشتد ، ولا نملك استتاراً ولا خيام .
فكم تحسرتنا على الزيران في الشتاء
وكم تحسرتنا على الصيف ، على المساء
في شرفات ينعس اللبلاب فوقهن ، والنهر
تكركر البنات في شاطئه الرملي ، في الحديقة الصغيرة .
(مرهقة يأكلني الصداع ، لا تمل انت من منيرة
فكلما جاءت الينا رحت قربها تلوب ،
تطيل في عيونها النظر
ألو؟ انا . مرهقة . احس راسي صار مالحجر ،
معذرة ، لن نخرج الليلة . ماذا؟ زهرة الغروب
تفتحت على النهر؟
شكراً . تحياتي الى امك .

هذه الصغيرة اللعوب
تتعبني . اي صداع ! لا احس رغبة في قهوة المساء .
وحيثما تختبيء النجوم في الشجر
يحملنا الدخان
اشرعة الى مقاه ترتدي غلالة القمر
فتحلم اليدان
بامرأة ينزلق القميص عن اكتافها الكثيرة الحنان
(اسمع ما يلغو به الحفيف
اسمع ما تقوله الغصون حول قصري المنيف ،
وزوجتي السمينة البيضاء في قميصها الحريري
تهيم في اروقة القصر الغريق بالضياء والعبير
اسمع ما يقوله الباب اذا انفتح

وعاد اطفالي المدللون ، اسمع الرنين
في غرفة الطعام ، وحدي في زقاق مظلم ، سجين
مشدودة عيني الى شباكها الوردي كلما نضح
بالنور ، كالكلب اذا اقعى ، طوال الليل ، في انتظار
بالقرب من قمامة ، فربما انفتح
وانحسر الستار .

سمع ما يهمسه القميص او اشم نفحه المثير ،
وحيثما يلقي على الكرسي بالقرب من السرير
سمع كل آهة .. وكيف تستريح راحتاه
فوق شحوب كتفها ، وكيف تستدير
نيه اذ تراه
يرنو الى رباطة الفاقع في مرآتها ..)

تراه

وانت في الزقاق
بالقرب من قمامة ، تمتد كفاك الى رباطك الوقور ،
عندئذ تجف في شباكها بحيرة من نور
وتسمع اصطفاق .
النهر في الظهيرة
كدمعة كبيرة .

وعند حاجز المطار كل شيء انتهى
وذاب في الظلام وجهها الصغير
فمن يدق الباب ساعة المساء
ويحمل الشموس في اليدين والرداء ؟
ومن سواها يملأ السرير

في ليلة الشتاء ؟
فعدت حاجز المطار كل شيء انتهى
ومن تشم في السحر
تفتح الجوري في قميصها الحريري .
ومن تذوق الماء باقة الزهر
في القدر الصغير .
مرهقة الاعصاب ، لا اقدر ان انام
يقتلني الفراغ في الاريكة
وهذه الستائر الداكنة السميقة
سمع قلبي ساعة تتك في الظلام
في الصمت . هذا الالق الغريب في التفاحة الوضيئة
يقتلني وهذه السجائر الرديئة .

ابق معي الليلة ، كلمني بأي شيء
تحلم ؟ لا اقدر ان اراك
تطيل في الستائر النظر .
خذ قهوة . اسمع . تكلم)
هذه الظلال كالشباك

يلقي بها ، في الليل ، صيادون في نهر .
وعندما قامت ، حوالي الظهر ، والنعاس في عيونها الجميلة
وفي يديها انها تقرأ طول الليل او تغرق في ثرثرة طويلة
قالت : اذا شئت شربنا الشاي في السرير .
وفي مهب الريح ، والخيول لا تسير
والبرد يشوبنا وتحثو الريح في وجوهنا التراب
كنا توقفنا . وفي المقهى رايت امرأة وحيدة
قلت : تقابلنا ، ولكن اين؟
«في الطريق ،

نكر في امسية بعيدة ..
قلت : بلى ، في الليل تقريبا .. اتشربين ؟
قالت : « اذا شئت »
وفي غرفتها الجوارب الطويلة
كامرأة قتيلة
او مومس هزيلة
انهكها السعال ، ملقاة على السرير .
قلت : هو الشتاء والحفر
قلت : هو القش .. فيها حوافر الزمان
اسمع صوت الريح في الهشيم .
شكراً ، اذا رايتها قل : انه عاد الى جنونه القديم ،
جف على صورتها الدخان ،

قلبي علاه صداً الزمان
عض على الليل ، على الحجر .
شكراً رفيقات الصبي الحسان
تهشمت جمجمة القمر

١٩٦٥

غمامة من غبار

ندياً وجهك الذهبي يتبعني
كطير البحر يحضن غيبة السفن
ويلمع في رفيف جناحه كفني .
طريداً اذرع الدنيا
على كسرات حبك جائعاً احيا
بلا اهل ولا وطن .

يجهك الذهبي يتبعني

بـ

بحر يلمع في رفيف جناحه الغرق

وراء يدي يأتلق ،

كـ في هشيم العشب يعصف اكلا جسدي

متركني

مد كل يوم ، ثم يبعثني

من جديد ، اخضر البدن .

ميتعني

لم نقهى الذي أوي الى بستانه الخشبي ،

وفي الفنجان اشرب وجهك الذهبي

وعبر زجاجه الليلي يخفق برقه مرّة

كما تتفتح الزهرة
ندياً ، ناعماً ، مغروق النظرة
فألهمت خلفه ، واعدود اذكر انني في آخر الدنيا
ووجهك ناعم مغروق في الشاطيء الاخر .
ايا جنية الارق
ايا جنية عودي الى غاباتك الملتفة الورق
فعنقك كلما التفت عليه اصابعي ذابا
وثغرك كلما عصفت شفاهي حوله غابا
وثوبك دونما بدن .
طوال الليل ، ملتهباً ، يؤرقني
هديل حمامة مجهولة الفنن ،
طوال الليل يتبعني

مع الريح الشمال تسوق اوراقاً بلا وطن
ويخفق في اصطفاق الموج والسفن
كطير البحر يلمع في رفيف جناحه كفني .
سدى اتمتع الخروب في حلي وترحالي
ويبسم وجهك الذهبي عن عذب المذاقة كالندى الصيفي
سلسال

يميل علي هونا غير مجبال ،
يميل على يديّ كحفنة الريح
ويتركني
رماداً كل يوم ، غائب الروح .
اطوق منك خصرأ ذائباً ، منهار
وشعراً عاصفاً كالنار

وثوباً طائر البدن .
تفر ، تفر فوق الموج والمطر
ولمع البرق والشجر
وترجع كلما لمت عباؤها الرياح ، طرية ، مبتلة الشعر
وتستر في يديها ناهديها وهي تدعوني الى جزر
يفتّح عن عذارى زهرها في اول السحر .
وفي ورق الجرائد غائماً اترقب الدنيا
يقيء ملوكها ذهباً ، وفي الغسق المذيع يلوك شيئاً ، جائعاً
احيا
على كسرات حبك ، كل اعراقي
تحن اليك . ما إلتفتُ يداك علي ما انهمر القميص
ككومة من نار

وما اسقيتني بيديك ، او اغمضت اشواقي
كما شبعت عيون من رقاد ، مثقلا منهار
تهدل كل غصن ملء كفي ، جائعاً التم بالاطمار
امر على الجرائد ، سبخة ، تفتّر عن احجار
ووجهك في سحاب التبغ يتبعني
وفي المطر الذي يهمني فيغسلني
عقيماً ، دونما سكن
كطير أخضر متسول النغمات في المدن .
رايتك مرة تتفتحين كزهرة في الغاب
تميل عليك في اقمارها الاعشاب ،
فقلت : اشمها مرة .

فما عانقت غير غمامة ، وسمعت ضحكك الطروب تطوق
القمما

والهث خلفها اتسقط النغما .
فيا تاجاً من النار
وياجرفاً تهدم في يديّ ذراعه الهاري ،
رايتك تخطرین كهذه الدنيا
هلوكاً ، طفلة قديسة احيا
على كسر تجود بها يمينك ، وجهك العاري
كطفل خائف بين الوجوه لمحته مرة
شريداً جائعاً ، مغروق النظرة
وفي بيت الهوى المكتظ ملتهباً كما تتفتح الزهرة
اعانقه فما القى سوى بدني
واعتصر الحجار ، كطائر الوسن
يحط عليّ ، يحملني

وعبر زجاج مقهى غائم بالتبع يشتلني ،
كنار في هشيم العشب تعصف ، وجهك الذهبي يتبعني .
١٩٦٧

الطائر الخشي

وكيف تصف شيئاً أنت في حضرته غائب
وبوجوده ذائب ،
وبشهوه ذاهب ، وبصحوك منه سكران ،
وبفراغك منه ملآن ،
فما ثم إلا دهشة دائمه ،
وحيرة لازمه ،
وقلوب هائمه ،

رابعة العلوية

الراقصة والدرويش

[١] قهوة الحزن

لو انني مثل أبي العلاء
اعرف كيف أمسك الفؤاد
كالثور من قرنيه ، أو ارتشف الهناء
من قهوة الهموم والسهاد .
لو انني مثل أبي نواس

تضيء لي حنيني
جوهرة اليقين
في جرة مكسورة أو كأس .
لو ان قلبي قشة في الريح
تأخذه مني فأستريح

[٢] الشك واليقين

أنت أم القمر
وجدته يجلس في سريري
يغزل لي مصيري ؟
أنت أم الجنية المحلولة الشعر

ترقص في غمائم العبير؟
أنت أم المطر
أغرقني ، أثقلني
بالورق الاخضر والثمر؟
أنت أم السراب
أسكرني ، حيرني
في غابة النجوم والتراب؟

[٣] الاميرة والمتسول

لن يسأل الجوعان غير كسرة من خبز
لن يسأل العطشان غير حفنة من ماء

لن يحلم المحكوم بالاعدام أن ينهدم الحائط عن جوهرة
أو كنز .

ما حاجة الاعمى الى الضياء ؟
أعمى أنا ما دمت لا أراك
وظاميء حتى أنوق ، مرة ، لماك .
وأين للفقير أن يراك ،
يشرب من يدك أو يذوق من لماك ؟

[٤] نجمة في الظهيرة

طرقت يا حبيبتى الباب فمن يجيب
يحمل مكتوبي الى الحبيب ؟

يا حفنة من لؤلؤ الغيوم
يا جرعة من مطر الكروم
مري على قلبي ، على نجمته الكسيره
في وقدة الظهره .
من يرجع الشيخ الى صباح
ويشعل التراب في هواه ؟
طرقت يا حبيبتى الباب فمن يجيب
يحمل مكتوبي الى الحبيب ؟

[٥] الحضور والغيبه

يا خطوة قصيره

تحملني الى ديارِ الحلوةِ الصغيره ..
يا مايَ يا سمايَ يا مصيري
يا عطش الماء الى الهجير
أأنت في كأسِ التي تفور بالسراب ؟
أم أنت في ثيابي ؟
أبحث في سريري
عن فرحة بيضاء ، عن شمس وعن حرير .
أبحث عن نغم
في الحائط الاصم .

[٦] باليرينا

راقصة الباليت في غمائم العبير

خلت وراء ظهرها الفراء والحريير
واقبلت ، يوماً ، الى الفقير
تأكل من كسرتة ، تشرب من ابريقه الصغير
ثم استدارت ومضت ، فأه
من قال ، يوماً ، كلمة وردها الى الشفاه ؟
يا حفنة الحياه
يا دمة تذوب في التراب
من اطبق الكف على فراشة الشباب ؟
ومن أعاد قطرة الماء الى السحاب ؟

[٧] الامير السعيد

ماي ارجعي .

اعطيك قلبي وردة ،
أبني عليك كوخ أضلعي .
ماي احملي الشمس الى سريري
وكسرة الخبز الى الفقير .
ما كان لي يا ماي ان امد نظرتي إليك
ما كان ان اسير في طريقك الوثير .
وجدت ، ذات ليلة ، مصيري
ينام طفلا أمنأ على يديك .
ماي ارجعي ،
أعيدي
تفاحة الشمس الى اميرك السعيد .
ماي ارجعي ،
نلق عليك نظرة ،

نقطف وجنتيك من بعيد .
ماي اذهبي
ماي اذهبي عني ولا تعودى
شبعث من حلاوة الوعود .

[١] بحيرة البجع

أقمر قلبي ، اقمرتُ زنبقة من نور
أقمرت الريح .. فمن يدور
اوديت أم فراشة الزوبعة البيضاء ؟
يا قمرأ في الماء

يفرش لي حريره
لو ريشة من بجع البحيرة الصغيره
لو عشبة تقطفها الاميره .
أقمر قلبي ، أقمرت زنبقة من نور
أقمرت الريح .. فمن يدور
أوديت أم فراشة الزوبعة البيضاء ؟

[٩] وردة الشتاء

رائحة الشتاء
رائحة الثلوج والفراء
والشوح في ربيع الاخير
تحملها جنية الغاب الى سريري
تحملها جنية البحيرة الشقراء ،

والشمس في حدائق الثلج وفي فراشنا الوثير .
رائحة الشتاء ..
يا وردة زرقاء
يا شمعة صغيرة
تحملها جنيتي المحلولة الضفيره .

[١٠] أوديت

أبحرت في السراب
هوادجي انتظرن واحترقن خلف الباب .
لو انها تعود
لو انها تمر او تجود
بلفتة تحمل ما تحمل من وعود .
لو نظرة

لو قطرة من قمر القارورة الحزين
أو رعشة من شجر الضفاف والحنين ..
أبحرت في السراب
نجمة حبي أغلقت شباكها ،
وانهمر الحجاب ،
يا قلب ، يا عصفورة تنقر في التراب .

[١١] بعد الذي كان

يدي التي مددتها اليك
يرضيك أن أردّها من غير شيء ؟
وجهي الذي تركته لديك
يرضيك أن يجف مثل عشبّة صغيرة
في وقدة الظهيرة ؟

عدي عليّ من غصونك الثقيله
مري عليّ نسمة بليلة ..
مري على بابي
مري ولو برقاً على بابي .
استصرخ الصمت وفي غرفتي
ينتحب الضوء ، واكوابي
خاوية كأعين الموتى .
يطير وجهي كلما شام خطى تعبر أو صوتاً ،
مري على بابي .
نُبحث في سريري
عن فرحة بيضاء ، عن شمس وعن حرير ،
أبحث عن يمامة فرت ولم تخفق على بابي

يا نجمة ما اشتعلت برهة
حتى خبت في افقي الخابي
تركنتني عصفورة ضيعت
طريقها الرحب الى الغاب
سفينة مرت ولم تلتفت
ليلا الى شاطئنا الكابي .

[١٢] الفراشة تطير

اوديت في سريري ؟
بلى ، وثدياها اليمامتان
ملء يديك قبضتا حنان .
بلى وكتفاها الفراشتان ،
اوديت يا مصيري

يا عطش الماء الى الهجير .
أموت أو ينهمر القمر
على يديّ مرة أخيره .
أموت أو تنهمر الضفيره
ويترع السحر
يديّ او يفرش لي سريره .

[١٣] الخروج من الجنة

الحلوة الصغيره
مرت وما ألفت علينا لفته أخيره ،
عشت على انتظارها سنين
محترق الشفاه والجبين ،
أجف في الظهيره

منتظراً لفتتها الاخيره
تضيء لى حنيني
وتمسح التراب عن جبيني .
أضعتها
أضعتها
ما ابتل وجهي بالندى في ظل مقلتيها
لم أذق الكرى على يديها .

[١٤] الواحة الضائعة

يا قبلة اضاعت الدرب الى الشفاه
يا غيمة تذوب في الفلاه
الزهر اليابس في انتظار
الورق اليابس والريحان والعرار .

تركنتني
تركنتني
أجف في الصحارى
أحترق انتظارا .
أبحث في رمادي
تنثره الريح على البوادي ..
ما ابتل وجهي بالندى في ظل مقلتيك
لم أذق الكرى على يديك .

[١٥] الجرة الخاوية

اوديت هل تذكرنا ؟
تعرفنا
لو انها مرت ؟ وهل تلتفت الشمس الى عبادة

الشمس ؟
ارجعي
اودي ارجعي إلينا ،
مري ولو هنيهة علينا
غمامة أو غصناً من بان
يطفيء هذا الجسد السهران .
يا فرحي ، يا فرحي ،
أنت ؟ أم الريح التي تدق فوق الباب ؟
أه عليّ فاتني الصواب
أخمرة في قدحي ،
أم انني اعب من سراب ؟

السوناتا
الرابعة عشرة

[١] قمر الرماد

وامتد وجهي شارعاً يغسله المطر
منتصف الليل بلا قمر
ألقى عليه سقفه الخاوي ، وأغفت فوقه عجائز الشجر ،
واقلقته تلكم الحوافر الحيرى كخفق القلب .
القمر اليابس تحت العشب ،

وقبرات الريح والطفولة الشريده
والنخلة الوحيدة
بنها المطر ،
يقظها ، وسار في طريقه المفروش بالحصى ، النهر .

[٢] النار القديمه

كلما خبا الصدى والريح
رأيت عينين وحيدتين وامراه
توقد ناراً تحت قدر ، والنخيل في الدجى تنوح
ويصرخ البط الطريد ، والنجوم مطفأه ،
كلما خبا الصدى والريح
وانشق قلبي مثل جذع نخلة مجروح
هامت كطير الفلوات الروح ؟

[٣] وجه الموت

مر كخفق الماء في الجره
مر كخفق الماء والمردى ،
في مقلتيه زرقة البردي ،
وفي يديه دمعة مره ،
وفي يديه لمعة الحليب
وفي يديه غيمة ثره
تلفني ، تحملني في موجة من الصفاء الازرق العجيب .
مر كخفق الريح فوق الباب
مر وفي جبينه عتاب .
رأيته مبتسماً حزين
حين ارتمى وأنكفأت عيناه فوق الطين

وامتلأت كفاه بالعشب ومقلتاه بالحنين .
(وحدك مثل الثمرة
فاجأها الشتاء ،
تصدح مثل قبره
عبر صحارى الغسق القطبي والبكاء ...)

[٤] الخطوات الاولى

طفولتي الشمس وطعم التمر والندى ،
واللبن الدرّي في اليقطين ،
ثوبي خيوط الريح والمطر
وفي جيوبي الحندقوق المرّ والزهر
وتاج رأسي الطين
وفي جبيني تقطن البروق والرعود والنهر

ويبتني القمر
خيمته البيضاء من ريش ومن حنين
تأوى إليها الريح والطيور والغجر .

[٥] وجه الحب

لي رعشة النخيل تحت الشمس والمطر
ولي قميص الماء والقمر ..
غيري من يلمع في عقد من النجوم ،
في السمك الليلي في مدائن الرخام والسهر ،
يلهو مع الجنية الشقراء في نهر من الخدر؟
يورق في طفولة الكروم ،
يولد في ابتسامه الرز الذي يفتّر في السحر؟
لي رعشة النخيل تحت الشمس والمطر

وسى قميص الماء والقمر ..
وحدك مثل الثمرة
فاجأها الشتاء ،
تصدح مثل قبره
عبر صحارى الغسق القطبي والبكاء ..)

[٦] النخلة المهاجرة

وحين ألقى الليل كالدب خبا في وجهي انتظار
وفي يديّ احترقت فراشة النهار ،
رأيتني وريقة صفراء
عبر صحارى الغسق القطبي والبكاء
يقذفني المقهى الى المقهى طريد الريح والمطر
أبحث عن قديسة مصبوغة الشفاه والشعر

(وفي القرى الشتاء
يجلس بالقرب من النيران كالجدات ينشر اليدين
مشقق الكفين ..)
يأكل من أصابعي الفراء
يفترّ عن قديسة مصبوغة الشفاه والشعر
في حانة الهرر ..
وحدي مثل النخلة الوحيده
عبر ثلوج الوحشة المديده .

الكنز

أغوص في توحيدي
أبحث في تشردي
عن نخلة ومسجد قديم
يأوي اليه مثلما العصفور وجهي الضائع اليتيم ،
فجرعة من كوزه المبترد
وحفنة من تمره الندي

كنزي الذي وجدته ،
كنزي الذي فقدته
في رحلتي الخائبة المريره ،
في حيرتي الضريره .
يا سيدي
يا أيها البديع
يا أيها الجميل كالربيع
خذ بيدي اليه
ونلني عليه .
فطالما هجرتني
وطالما تركتني
اغوص في توحيدي

أبحث في تشردي
لا أحد يأخذني إليه
لا أحد يدلني عليه
يا سيدي ،
خذ بيدي
خذ بيدي .

فَتَاوَرَة سَابِعَة

[١]

الزمن اليابس ، يا حبيبتى كالقش في اصابعي ،
إرتجفتُ مثل الوتر المشدود في انتظار لون الثوب ،
وامتلكتُ في وجهك خفق النورس الغريق ،
وارتحلتُ في انزلاقه اليدين حتى العروة
الاخيرة ، إتكأتُ في الظل على إنحناءة

الشفاه ، (هل اتركه ينصب كالجدول؟) فرّ
الشعر الثقيل كالنهر ، إرتمى كالبعج التعبان ،
وانهمرتُ في همومه المنهمره .
في شهرك الثامن مثل الثمره
أنضجها صيف جنوبي ، ومثل الثمره
صافية ، منتظره .
على يديّ انطرحي ثقيلة كدمعة ، على
فمي مري ، اشربي حبي ، أطبقي عينيك واستريحي
في خجلي الفسيح
على يديّ انطرحي ثقيلة ، خجلي إذا ما
عنت من نزهتك القصيرة ،
أه انظري اليّ تكفي نظرة طويلة ، كسيره

أعرف فيها كم تحنين إلى لقائي
كزهرة تذبل في إناء

في ورق الليمون طعم منك، وارتحت على
يديّ، والتف ذراعاك على عنقي كالزوبعة
الثلجية البيضاء تلفت على الأعمدة، انطرحت
كالصليب، في ليل مياه السهر الراكدة إنزلقت
مثل السمك، التصقت كالوشم على منحدر
الثديين، نامي، انفتح البحر، إرتمى الهدب
كظل السعف الحاني على الماء، افتحي قارورة
النعاس، خفق واحد، وموجة واحدة
تحملنا، كان من الجائز أن يكون هذا طفلنا،
كان من الجائز أن يحمل صيف جبهتي، يحمل

تقطيبة وجهي كلما أصحرتُ كالصبار في
أسرة ضيقة كباديه .
اتعرفين ؟ كنتُ اشتريكِ كالخبز ، كمرأتك
كنتُ كلما ابتعدتِ عنها لم تعد غير زجاج
ضائع ، غير سماء خاويه
يهجرها الله . اتعرفين ؟ اشتريكِ كالعنقود
ملتفا ، ثقيلًا يشتهي المديّة ، مثل قدح
يود لو حطمه السكارى
في آخر الليل وقد أقفرت الحانات ، اشتريكِ
مهجورًا كاضواء المحطات التي تنتظر القطارا .
نامي اطبقى عينيك واستريحى
في خجلي الفسيح .

اكلاما مررت في الممشى خبا صوتي كما تنحسر
الموجة، وانفتحت كالكتاب، هل حددت
في عينيك؟ هل شبعت من عينيك؟ أطرقت
برأسي، انكسرت روحي كفخار فمن يلمني؟
يصنع مني دمية يلهو بها طفلك، هل يكسرهما؟
كان من الجائز أن يكون طفلنا، اتعرفين؟

عارياً كالروح في آخر ليله
أشتهي ثوبك يلتف على عنقي كحبل المشنقه
وعلى جلدي مثل الزهرة المنغلقة
وهي تمتص الفريسه .

أبحث عنك كلما أفقت، يغويني ارتحال الطير
في يديك حين تحملان شعرك الثقيل (هل

أتركه ينصب كالجدول؟) في الصباح (هل
تشرب كوباً آخر؟) ينحسر النعاس عن
يديك، هل تمر عيناى على يديك دونما اكتراث؟
كلما انتظرتُ ان تقرأني عيناك كان وجهي
المهجور كالجريدة اليومية المنتظرة
وكنت تصدحين مثل قبره

بأي شيء؟ بانحسار موجة البرد؟ جنون الميني
جوب؟ كان وجهي الورق الأصفر في الريح،
اطبقي عينيك، نامي واغزلي حلمك من قطن
انفعالاتي، اتركي يديك في يديّ، حين
تطبق الحسنا عينيها وتغفو يخفق العالم
كالنبض ويعلو كل شيء قلق كأمرأة تمشي

على الحبل ، انتظرتُ ، أترعتُ روعي مثل جرة
مترعة ، من ذا الذي يوشك أن يهوي
على الفخار بالفأس ؟ لمن تبتسم الحسناء ؟
وانتظرتُ وامتلاتُ كالمغزل يلتف بخيط
منك يلتف ، لمن تبتسم الحسناء في الحلم لمن ؟
وانزلق الغطاء عن صحو سماء الثلج وانحدرت
في النعاس مثل قنطره
في شهرك الثامن ، تقمرين
نعومة ولين
وزرقة منهمره
تحرق لي اصابعي .
الزمن اليابس ، يا حبيبتي ، كالقش في اصابعي ،

انتظرتُ في غرفتكِ، انهمكتِ في اختيار لون الثوب، كأسطوانة فارغة تدور، كالكوب الذي ارتشفت منه جرعة كنت وحيداً، مهملاً، وكل شيء كان في انتظار لون الثوب كالمحكوم بالاعدام في انتظار عفو منك، وانتظرتُ، كم يطول تحديقك في المرآة، كنت أسمع إصطفاق موج الشعر الثقيل، كنتُ النورس الشريد، هل قلتِ: اعطني لفافة؟ في وجهك ارتحلتُ كالطير طوال السنة الاولى، هل انفتحتِ كالمدينة المهزومة الهشة؟ كالجسم في منتصف الليل هل انفتحتِ؟ كاليقطين تلتف انتظاراتي وتنحل هشيماً ضائعاً في الريح.

وها أنا أصبح :
يا وردة الحنين
مري على جبيني ،
وانتثري في الريح .

تفتح الصنوبر ، الشتاء في الغابات والرقص
على الجليد ، في الحديقة البيضاء ألقى الليل
كالدب ، اسمعي : شتراوس ، في المقهى اعتصمنا ،
الكوكب الارضي كالرصاصة العمياء ، من أفلته ؟
تشبثي ، أنهكنا الحب طوال الليل ، في الصباح
كوب الشاي ، في الظهيرة الجولة في المتحف ،
او في سينما أريول والغداء في المطعم حتى
العصر ، والسهرة في المسرح او في متروبول ،

الزمن اليابس ، يا حبيبتى ، كالعش في اصابعى ،
انزلقتُ في المترو بكوم هائل من زهر الأوركيد
وانتظرتُ في العواصف المجنونة البيضاء ،
كالرصاصة العمياء يعدو الكوكب الأرضي مذعوراً ،
على يديّ نامي ، إنطرحي على صحارى السهر
القديم ، نامي ، انحدرت في نومها الوعول ،
نامي ، انهمكي في الزينة ، التفني على جذعي
كالبلاب ، ذوبي دون أن تلتقط اللؤلؤ
كفي ، اختلج الهدب كظل السعف الشادي
على الماء ، صباح الخير زيناى ، لمن تبتسم
الحسناى ؟ كل وردة تفتحت تفتحي
وانتثري في الريح .

[٢]

المطر الناعم في الحديقة، العاشرة، الليل
صغير، أب، (لا .. أرجوك) قلت، وجهك
المبتل في يدي، قبضتاك تعمران لحمي،
الورق الطري في يديك (لا .. أرجوك
اتركني) اعتصرت، انزلق المعطف، تحت
الشجر النائم يلتف هشيم الورق، الغصون
سقف، صيحة القطار في انحداره البطيء،
قلت (انتصف الليل) حملت المعطف الخفيف
فوق كتفك، السماء في اكفنا قطيفة باهرة
الزرقة، دخنا معاً لفافة واحدة، لم يبق
في العلبة شيء، تلمع الاضواء في عينيك،

في الأسفلت ، في ارتعاشة الاوراق ، من
نافذة مضاءة في الطابق الثامن تلقي نفسها
غنية ضائعة ، اعرفها تتكىء الآن بكتف
مائل منزلق القميص ، عيناها الى الليل الحريري ،
على الطاولة الورود من عشيقها الممثل الاشقر ،
تهو الريح في كتابها المفتوح تلهو ، اعرف ،
الذراع مثل النغم البطيء يمتد فتطفو خضرة
غائمة تذكرها رخاوة الاشياء في القيعان ،
اعرف انحدار شعرها المحلول كالقطيع في
انحداره الهائج ، في غرفتي الوحيدة ، الكتاب
مفتوح ، عبير الغرفة الاخرى وقهقهاتها
الواعدة ، الخروج من حمامها ، إتصاق ثوب

المنزل النديّ بالتدوين ، تسريحتها المذعورة ،
اللهات خلف الحائط ، السرير دون إمراة
ربابة مقطوعة الاوتار ، قلتُ : غرفتي وثيرة ،
قلتُ : اسمعي ، اللقاء في الحدائق ، النوم على
المصاطب الصلبة في الليل لماذا ؟ غرفتي وثيرة ،
قلتُ : اسمعي ، تصوري : السريرُ والوردةُ في
الاناء ، والنبيد في الكوب وليليات شوبان ،
أتسمعين ؟ الحب في السرير كالرحيل في السفينة ،
القهوة في الصباح .. قهقهاتها الواعدة ، التصاق
ثوب المنزل الندي بالتدوين ، تسريحتها الهوجاء
جارتني الفارعة الشقراء
تطرق بابي ، عادة ، في الصباح

تأخذ مني علبة الثقاب ،
وفمها المنفرج الكبير مثل الجرح
يطفح بالرغاب .

قلت : افهمي الموقف ، ما الفائدة الآن من البكاء ؟
انتظري ، ايتها الحمقاء هل ينكسر الحب كما
تنكسر الزجاجاة الزرقاء ؟ هل يزوب في اصابعي
كقبضة بيضاء من اول ثلج ؟ لملت بلا اهتمام
خفها وثوبها وارتحلت عجلي وابتقت حسرة
تخفق في الغرفة كالطير ، وفي الحدائق المهجورة
الشتاء يقعي الآن ، تلتف على الاعمدة الريح ،
وفي الشوارع البنات يزهرن وينفتحن كالجوري ،
واصفرتُ يدي في يدها ، قلت : مساءً الخير

زينا ، انتظري ، وانفلتت وريدة ، ملتفة
بالثلج والفراء .

جارتى الفارعة الشقراء
تطرق بابى مرة فى اليوم
تحمل لى رغبى الساخن قبل النوم
تترك لى فى الصبح
تلا من الاعقاب والقشور ،
وفمها المنفرج الكبير مثل الجرح
منطفيء ، مكسور ،

فى غرفتى وحدى أعب الشاي والسجائر
الرخيصة ، الكتاب مفتوح وفى المقهى الدخان
امراة تؤنسنى ، الرحيل فى قرارة الكوب ،

وفي الجرائدِ المكرورةِ النزهةُ ، كالجذعِ قديم
يابس كالجذع ، في طريقها الآن الى حديقةِ
الاطفال في معطفها المنفتح الخفيف ، فوق
الركبتين الثوبُ والصدرُ كما تنفخُ في طيارةِ
الطفولةِ الريح ، وفوق الكتف يلهو الشعْرُ
الطائر ، في المقهى الدخان موجة تحمل لي النوارس
الغريقة .. الطريق يمتد الى زينا صغيراً ناعماً
يمتد ، تلتف البتولا أهة بيضاء تلتف ، وفي
المقهى الدخان امرأة تؤنسني ، الرحيل في
قوارب من ورق الجرائد ، الخيوطُ تمتدُ إلى غرفةِ
زينا ، المطرُ الناعم والزجاج يبتلّ وفي السرير
والشراشفِ الناصعةِ البياضِ زينا سفن مثقلة

في هداة العباب، أبحرت، طويلا، عاشقاً
منحدرأ أبحرت، تغوي زرقه اللؤلؤة المصون،
يغوي الزبد الهائج والزوابع، الدودة في قوائم
السريـر، أبحرت ثقيلـا هائلـا تحملني زينا إلى
اللاشاطيء، القرار يغوي، الغرق الأخضر يغوي،
البجع المصطفق النائح يغوي، الموت في البنفسج
الموت بطيء، عاشقاً ادخل، لي ينفتح الخليج
يصفو، امرأة تحمل لي البحر على خفق يديها
امرأة تطرح عنها الطحلب الطري تأتي كالصدي
حافية، تفيض في السريـر تحتي مثلما يندلق الفرات
تحت النخل، تحتي الالق الطافر في الخـلجان،
تحتي ذروة الموجة في اصطافافها حين تشب عالياً

كالفرسِ الحرونِ حينَ ترتمي كالشجر القتيل ،
أمسكت

كربان خبير قادر بالدفعة ، الرغوة في أصابعي ،
في عنفوان الموج ، تلتف على صاريتي ضفائر العاصفة
الشـقراءِ ، تلتف على يديّ ، أمسكتُ بثدي الريح
وارتشفتُ ، أرخى البحر لي عنانه .. (في غرفة
مفتوحة يذكرنا البحر ، على نهدي ملح منه ، تأتي
الريح بالرزاذ ، في أمسية زرقاء من أب ، على
المائدة البنفسج المبتل والشاي الذي تحبه بالهيل ،
قلتَ : اقتربي ، كنتُ قد اغتسلت توأ ، كنت في
بيجامتي ، أرجوك ، وانزلقت من يدك ، هل
تشرب شيئاً؟ عندنا بقية من النبيذ ، اقتربي

قلتَ ، وفي الشتاء أرتاح على صدرك ، طول
الليل ، أروي قصصاً ، وفي صباح العيد تأتي
ضاحكاً محملاً بالثلج والورود .

وها أنا أعود

منتفخاً بالبيرة الرديئة

أحمل روعي في يدي باللونة وضيئة

تطير فوق النخل والسطوح .

(.. والسروة الطويلة الهدب كما ينحدر البحر على
طراوة الجروف والنيران ، في غرفتنا البحر ، إكتشفني
قارة كباطن الكف إكتشفني امرأة خافقة كالرعدة
الغابية الزرقاء ، فجر ناعم يخطو على الجسر وحيداً
حافياً يخطو على نهديّ بحر خائف يمشي على نهدي ،

في شعري أضاع النورس الشريد طعم الوسن
الثقيل، خذني سمكاً يلتف بالشباك ، خفق واحد ،
وموجة واحدة تحملنا ، الريح تهب الريح ؛ جلدي
عاشق يحن كالحبال ؛ كالصاري انحنى جفّ ، طويلاً ،
دون أن يبتل بالرزاق والملح ، تهب الريح ، جلدي
يابس يهدل في الليل كما يبتهل العشب إلى
النيران ؛ يا حبّ اقتربْ يا حبّ ؛ وجهي ابتل في
يديك ؛ وجهي غيمة ؛ ينفتح الخليج هل تسمع ؟
تصحو سفن مثقلة تدخل في البحر كما تدخل في
قفازها اليدان ، هل عجنتَ مثلي طينة تخفق في
كفيك ، تدحوها كما تشاء ، تختضّ وتصحو امرأة
يدور نهداها كما يدور في سورته المغزل ، هل

يحنو جوى ولهفة أرقَ مني الغرب الحاني على
الماء ، وهل يحتضن الزرقة مثلي البجع النائم ؟
خفق واحد ، وموجة واحدة تحملنا ، يا حبّ ،
يا حبّ إنحني الصنوبر الناعس ..) شال
امرأة يحمل لي الشتاء في الغابات ، شال
امرأة تدفنّ فيه وجهك اليابس ، طعم البحر ،
طعم امرأة أنضجها صيف جنوبي ، لمن رغبة
هذا المرمز المترع ؟ وجهي نورس يهرم في
المقهى ، الدخان امرأة تؤنسني ، الرحيل
في قرارة الكوب ، يدي تجثم عندي سفناً
خاوية في الريح .

ممثل واحد
في فتاعة فارغة

تهدل شعرك ،

(هل يتهدل شعرك في غرفة ثانية

على وجه غيري؟)

موجاً ، رذاذ الصباح

وراء الزجاج الخريفي ، خفق الشذى في الوشاح

طري ، أحس به الآن ، حين نرود الحدائق والطرق الخالية

نراعي تطوق خصرك ،
(غيري يطوق خصرك ،
غيري يناولك الآن فنجان شاي ،
يلم عليك الغطاء ...)
ترى نرتدي مرة ثانية
ظلال الصنوبر في الطرق الخالية ؟
يمرّ الشتاء ،
وينحدر الصيفُ عند البحيرات خفقةً عشبه
وينحدر الصيف ثوباً خفيفاً على امرأة ، ملء زندي ، رطبه
وينحدر الصيف رغوّة شمبانيا ..
ترى نرتدي مرة ثانية
رذاذ الصنوبر في الطرق الخالية ،

نلّم علينا ، معاً ، معطفاً واحداً ،
وندفع باباً ثقيلاً الى حانة خابيه ،
نراعي تطوق خصرك ..
(غيري يطوق خصرك ،
غيري يدور بك الآن في لهب الفالس ،
مركبة في الفضاء ..)
ترى نرتدي ، مرة ، في الشتاء
حفيف الصنوبر في الطرق الخاليه ..

الملكة والمتسول

وجه إبتهاال مدن مهجورة تصيح
وجه إبتهاال سفن ضائعة في الريح ،
طيارة من ورق ونار
ودمعة ثقيلة الحجار .
وجه إبتهاال لهب في مدن الاغريق
ينهش في لحم يدي فيدياس ،

يفور في كأس أبي نواس .
وجه ابتهاال نورس غريق
وجه ابتهاال قشة في الريح ،
ظبي عراقى طريد ، متعب ، جريح .
(خذني إلى السرير ، خذني ، خذني
واسحق بزنديك غصون حزني .
ياساهر البرق انهمز حجارة او ماء ،
ياساهر البرق احترقنا ، التهم الرداء
جمر وقداح ..)
عرفنا مدناً غبراء
وسراً تجأز فيها رغبة الثيران
مثل نمور الغاب في اقفاصها مكبلة ،

وقهوة يطفو عليها التبغ سحباً مثقلة
تسكننا ، تمتص فينا خضرة النيران ،
ياقمر الطفولة العريان ..
(أه من يكسر باب القبر؟ من يغمرني
كالندى ، ينفض عن وجهي غبار الكفن
ووشاح الدود؟ من يقطفني
وردة ، ينزع عن وجهي غصون الوسن؟
أه من يكسر باب الأبد ،
ينحني ، يشعل ناراً في هشيم الجسد
وخيوط الزمن؟)
وجه ابتهاج مطر صغير ،
رصاصه تخترق الصخرة في السرير ،

فاكهة يحترق المتخم في هواها ..
يلهث في قميصها ثدياها
مثل خيول متعبة
تسحب خيط العربة ..
وجه ابتهاج البقر الوحشي والوعول
هائجة تركض في جرحي .. ابتهاج وردة خجول .
(يا أيها الماء الذي يحملني
على يديه مطراً ، ظللاً ..
اترك على الشاطيء مني زهرة وشالاً
وخصلة تلهو على وجه الذي يعشقني ،
وحفنة من شجن
يأتي على هديله الشريد

طير الزمانِ الازرق السعيد ..
يا أيها الماء إنحدرْ بي نجمة خفيفه
واترك على الشاطيء مني خضرة وريفه
وحفنة من شجن
يأتي على هديله الشريد
طير الزمان الازرق السعيد ..)
تمزق القميص في أصابع ابتهاال
بكي القطا الكدري في أصابع ابتهاال
واللهب الذاهل في أصابع ابتهاال
اللهبُ الجنائزيّ ، اللهب الشريد
يحتضن الموجة ، يبكي عرية وناره
يحمل لي محاره

تنشق عن فيدرا وعن أوفيليا في عتمة المغارة ،
عن الندى والجمر ..
(وجهي النار والجليد ،
الألق الذئبيّ في الضفائر المحلولة الثقيله
تنفض عن وجه المسيح العرق الناضح والغبار .)
اللهب الجنائزيّ ، اللهب المثار
يلتهم الثديين ، يطفو زهرة نحيله
يبكي على شطآنها الصفصاف ، يستعيد
وجها صغيرا ، شاحبا ، شريد ..
(أقبلوني أمس
يا زهرات الماء ؟
أقبلوني أمس ؟

وطرّزوا ثوبي بطيف الشمس
وخضبوا يديّ بالحناء؟
يا زهرات الماء ..
اللهب الجنائزي ، اللهب المثار
يخفق في الكهف كطير تائه أتعبه السفار ،
يلتمّ أو يفرّ ...

(مزقّ عنيّ الكفن

واسحق بزنديك هشيم الريح والزمن ..
خذني إلى السرير ، خذني وردة طريه ..
وانفض رداء الدود عن فاكهتي الشهيه
غيرك من يشعل لي أضالعي المنتثره ،
يوقظ فيها قبره ؟

غيرك من يشعل في قميص نومي الجمرة المستعره؟
يا قمر الطفولة العريان
بكى الندى في شفة البستان ،
قل لي : هو البلبل ..
خذي ، خذي
واسحق بزنديك غصون حزني .
ها أنا أدفن وجهي المتعبا
نورسا أخضر في وجه ابتهاج
فأرى الموت نخيلا وهلال
وأرى الموت صغيراً ، طيباً .
فأنا والموت طفلان عرفنا بعضنا
ولهونا في اراجيح السعف

وعشقنا امرأة تسكن في جوف الصدف .
ها أنا أدفن في عشّ العصافير جبيني الموهنا
فأرى الموتَ سريراً وابتهاال
جرة خاوية من طين أور ،
وأرى الموتَ حصيراً وابتهاال
قشة يحملها سربُ طيور ،
وأرى الموتَ غزالاً وابتهاال
ذئبة تطبق فكها عليه ..
(وأنا نبع صغير
تحمل الريح العصافير إليه ،
وأنا خيمة ريش وحرير ..)
يا امرأة تسكن في محاره

تنشقُ عن فيدرا وعن أوفيليا في كلة معطاره
وفي قميص النوم ..

(مزق عني الكفن

وانفض غبارَ الريح والزمّنْ ،

خذني ، وخذني وردة طريه ،

فاكهة شهيه ..)

كسرتُ بابَ القبرِ ،

كسرتُ بابَ الأبد المغبر

وها أنا أهبط في قرارة الجحيم ،

في ظلمات العالم السفليّ ..

(من أنتَ ؟)

أنا فيدياس

أبحث عن فيدرا وعن أوفيليا في المرمر القديم ،
في الذهب الأخضر ..
.....
(من أنت؟)

انا ابو نواس

ابحث عن فيدرا وعن أوفيليا في قاع هذي الكاس .
امسك في يدي ريش الأحصنه ،
اجثو على اعتاب كل معبد يوقد فيه الكهنه
نيرانهم وتلتوي سحائب البخور .
وفي لهاث الوحل الفائر والجدور
يزدحم الموتى وقد تدثروا بالريش
بين يدي إيريش ،
اجثو لديها صاغراً ؛ اسألها : المرور ..

وعبر كل حائط او باب
يفتح من ابوابها السبعة تلتف ذئاب الريح
وتجثم الغيلان او تطير في هيكلها الفسيح .
يا ظلمة ملتفة كالغاب
يا كاهنات الأبد الصخريّ من يدلني ؟
ينفض عن وجهي غصون الوسن ؟
مبتهلا أصبغ بالحناء كلّ عتبه
أبحث عن وجه التي أحبها ، أتبع كل عربه
تجرها الوعول او تطير فوقَ المدن .
أسأل كل عابر ، اقطع خيط الزمن ،
وكلما طرقت باباً هائلاً وانهمرت اتربة السنين
لمحت من اثوابها شيئاً بأيدي حرس يلتهمون الطين .

وها انا اهبط في قرارة الظلماء
وفي يدي كسرة خبز من حقول الريح
وحفنة من ماء .

قيل : إذا ما أكلتْ وابتريتْ عادتْ اليها الروح
ووضعَ التاجُ على مفرقتها ، وانحدرَ الخبزُ على كتفيها .
وقيل لي : من يملكُ الصبرَ على التحديقِ في عينيها ،

في اللهبِ الزبرجديّ ، اللهبِ الغريبِ ؟

وقيلَ : من يلمسُ في ثديها

طيرَ الزمانِ الأزرقَ العجيبَ ؟

ومن ترى

يقطفُ في ظلالِ برناسوسَ زهرةِ النرى ؟

(أه نمُ في بيتنا حتى انبلاجِ السحرِ

وأنا أسقيك من ثغري كؤوسا مسكره ،
أه نم في بيتنا حتى إنبلج السحر
وأنا أعطيك أشهى ثمره ..)
وقيل لي : منذ ثوان وهي في بحيرة البجع
تضحك ملء الريح
لعلها ، الآن ، على فراشها كالطفل تستريح .
وجدتها مبتلة وعاربه
ممتدة بطولها في كسل وعافيه .
شممتُ في غرفتها هبة ريح آتية
من مدن مطمورة في غابر الدهور ،
شممتُ في غرفتها مجامرا في سرر تقضي سميراميس
ليلتها فيها كنمر جائع حبيس ،

يلهث ثدياها كخيل متعبه
تسحب خيط العربيه ،
مددتُ كفي نحوها ، نزعْتُ عن جبينها النقاب
وحيثما عانقتها ،
طويت زندي على تراب ..
يا كاهنات الأبدى الصخريّ ، يا عناكب الزمان ؛
أزحَنَ عن بصيرتي ستائر الدخان .
(حينما طوقني مرت سحابه
فوق عينيّ ، وغنى بلبل في ليل غابه .
جسدي المفتوح مثل الثمره
كان في ثوب شفيف ،
وانا ساخنة مثل رغيف .

كان نهدي قبره ،
كان قلبي الخائف الشارد كالأرنب في دغل كثيف ،
وأنا تائهة منبهره .
قلتُ : خذني وردة تبتل في ليلة صيف ،
نهرأ أهوج كالثور ، اخترقني مثل سيف .
جسدي ظبي جريح
وسريري ضائع كالباديه ،
فخذ السرّة فنجانا وفخذي صارية
حرة خافقة في كل ربح .
أنت أم الغبار في أصابعي ؟
أنت أم الزجاجة المكسورة الزرقاء في أصابعي ؟
منذ قرون وأنا في قاع ليل الطين

أبحث عن وجهك في أتربة السنين ..
يا كسرة من جرة مهشمه
عودي كما كنت ، أنفخي روحك في أجنحة الثيران
وأوقدي النيران
في هذه الهياكل المهدمه ،
واضطجعي ، متعبة ، في ظلّ ذا البستان ..
فها هنا على طريّ العشب والزوان
قطفتُ ذات يوم
زهرك الفريده ،
وكنتِ مثل الظبية المرهقة الطريده
غارقة في النوم .
وحينما افقتِ من رقادك الطويل

وقلت: من خضبَ ثوبي ويدي بحمرة الأصيل؟
تلطخت بالدم كل عشبته وزهره
وامتلأت بالدم كل بئر،
واترعت بالدم كل جره ..
(هي ذي فوق السرير الملكي،
انهكتها رحلة الصيد ووعثاء السرى .
أه اهبط كالندى فوق السريري الملكي
فأنانا وردة يعقد جفنيها الكرى ..)
سقط الثوب على اقدامها، وانهمر الشعر الطويل
وبكت ضارعة، ملتهبه،
كلما اطبقت كفي على الثدي الثقيل
فرّ كالطير، وابقى حفنة من اتربه .

(أسرت قلبي عيناك كصقر جبلي
فأنا خائفة مرتعشه ،
القـ بي فوق الفراش المخملي
فأنا خائفة مرتعشه .
نقُ دلالي فهو كالشهد لذيذ
واعتصر كلّ قطوفي الدانيه
وتنزه عبر حقل مورق أو رابيه ،
نقُ دلالي فهو كالشهد لذيذ .
اقتربُ منه اقتربُ مثلَ رداء ..
ثمري كالشهد حلو وجميل ،
ضمّ كفيك عليه كرداء ..
ثمري كالشهد حلو وجميل .

أه مولاي اقتربُ فهو لذيد
وشهّي كرضاب الشفتين ،
أه مولاي اقتربُ فهو لذيد
وطريّ ناعم كالشفتين .
وأنا في حفرتي المنهدمه
طينة تمعن في تكوينها كف إبتهال ،
كلما تمت تقاطيعي ودبت في عروقي المظلمة
جذوة ، أهوت على وجهي بالفأس إبتهال ..

الرباعية الاولى

العشبُ والحيوانُ والنارُ القديمةُ أصدقائي،
الريحُ تحملُ لي أريجَ الحندقوقِ، العشبُ
والحيوانُ والنارُ القديمةُ أصدقاءُ صبيةِ خجلي،
ارتجفتُ أمامَ عينيها، ضممتُ، بكتُ، وما كنا
سوى طفلينِ يحتضنانِ بعضهما، ارتشفتُ، ولم أنقِ
من قبلِ غيرهما، ندى شفتينِ، تحملُ لي أريجَ

الهندقوق الريح، في قصبِ الضفافِ؟ الماءُ
يجري؟ الفجرُ كانَ نداوةً وشذىً قديمًا.

ضباب قديم

ونهر قديم ...

الماء في الضوء القديم، الماء في الظل القديم،
الماء يحمله صغيراً، عمره يومان، حلوا نائمًا،
يلتف حول العنق منديل، وتنتفح العيون
الخضر تحت الماء؟ ذا نغل؟ أنحمله الى البستان؟
عمي إدفنه تحت النخل.. قيل: تعيش خلفاً
سياجها القسبي امرأة أحببت واحداً من صبية
الجيران، قيل: عيونها خضر وخداها مرايا،
قيل: أرملة إذا انحلت ضفائرها ارتمت

زهباً يشعّ على البساطِ .. لمحتها يوماً ، أتذكر
أيها النهر القديم ؟
ضباب قديم
وفجر قديم ..

أحببتُ وجهك ؟ وجهَ ابنتك ؟ ارتجفتُ امامَ
عينها ، اعدني ايها النهرُ القديمُ ، اعد مذاقَ
الحنديقِ ، وددتُ لو اطوي يدي عليك ،
أبكي يا ابنتي ابكي ويضحك في عيونك كوكبي
اللاهي .. الهي لو اعود ، اعود طفلاً في رذاذ
الريح يخفقُ ثوبه البالي ، معاً نعدو وراء التل
طعمُ الخبز والرشاد في شففتي .. طعمُ القبلةِ
الاولى ، البروقُ الخضرُ تخطفني ، اقص عليك

شيئاً عن كنوز الجن؟ يحرقني شحوب في يديك
أتفهمين؟ الماء والسفن الثقيلة والنخيل
الماء يجري، الفجرُ كان مدثراً بالسحب كان
شممتُ عشباً يابساً وندى يشع، شممتُ
عشاً دافئاً في الفجر، انكرني دخان الروث
والكربِ المبلل، انكرتني النار والطينُ القديمُ
بحثتُ عن ثوبي الممزق وارتعاشة هيكلي المهزول
تنبحني كلاب طفولتي البيضاء.. (ازرقَ كانَ
وجهك في زجاج الريح، مرتجفاً اراك، يداك
تلتقطان ريش البطّة المذبوحة البيضاء، اسمعُ
كالصدي الخابي عويلك واصطفلقَ الريح والسعف،
الشتاءُ يحطُ قربك لقلقاً ويفر، بيت

من حجار ضمنا بيت وراء النخل نبنيه ويهدمه
اللاصوص، النار تسهر فوق وجهك .. لعبة
الصبر القديمة في يدي تحطمت، وجهي على
لهب المرايا وردة تبتل حين اراك تبكي، البطنة
البرية البيضاء، من يدري، اتخفق في ضباب
عيونك الساهي القديم؟ تلم عن شعري بقايا
القش حين نعود نجل ..) انكرتني الريح،
جف دمي القديم، الماء يجري، امتد قوس
من شفاهك، هل يمر حنيني الهمجي؟ يدفق
في عروقي الطين واليقطين، ما انهدمت غصونك
في يدي، الي يا ورقسي المخبأ في الجذور
اتحت هذي النخلة العجفاء يغفو صحو اوراقي؟

اتركي في راحتي نعومة اورعشة من وجنتيك
يمر دونهما الزمان وتخفقان مدى انتظاري ،
الماء يجري ، واحفري في مقلتي وفي يدي
شحوب وجهك كلما اصحرت في شفة الهجير
ارتحت في ظل ندي من طراوة هديك الخجلان ،
وجهك صحو اوراقي القديم .

ضباب قديم

وطين قديم ..

(.. واضم ، في خجل ، يدي على بقايا دفء ليل
مقمر ، والنخل بات يجوده طل يهف الى
الصباح ، وفي ارتخاء كنت ارقص في ارتخاء ،
حلوة بيضاء كنت .. تضيء وجهك ضحكة قمرية

في مقلتيها، حلوة مثلي؟ انزلقتَ على يديها
متعباً، خجلان، تغربُ في شحوبِ يدي
القديم..) الماء يجري، العشبُ والحيوان
والنارُ القديمةُ صدقائي، الماءُ يجري، وجهي
القروي يهرمُ في المقاهي،

فانفضي عن جبيني الغبار
وامسحي عن جفوني المطر،
وجهك الحلو في كل بار
مر بي فانتشر
في عروقي الضباب القديم.

الدخان

يمتصني الحائط

رطوبة اقرأ فيها وجهي القانط ،
وانتر في المسرح ، في المرقص ، في الشارع
في الباص ، في المترو ، يلف الفراء
اكتافك العارية ،
رائحة الثلج الصغير الناعم الاول

في شعرك المهمل ..
(بخنّ وخبّنّ ، ليس غير الدخان
واسأل بقايا الكأس في كل حان :
كيف مضى الماضي وفاتَ الاوان ؟)
يشحبُ في المقهى نشيخُ الكمان
تذوبُ في اصابعي الجائعة
اكتافك الرائعة ..
نرقص ، تحت الثلج ، في الشارع
نركض ، تحت الثلج ، في الشارع
يضحكُ منا ، مثلنا ، عاشقان
نبحثُ عن تفاحة او كسرة في زحمة المائدة
نبحثُ عن لفافة واحدة ..

عن اي شيء .. نرتمي ضاحكين ،
ينزلق الحرير ، يخبو في العيون القمر
تنفث الریح على السطح ، يضيء السحر
شباكنا المبث ، شيء مثل طعم الثلج والبرتقال
طعم الليالي الطوال
في الشفة السفلى او الشعر اذا ما انهمر
غطى هضاباً او ذرى عالية
مهجورة عارية ..
(بخن وبخن ، ليس غير الدخان
واسأل بقايا الكأس في كل حان :
كيف مضى الماضي وفات الاوان ؟)
وفي كتاب واحد في السرير

نقرأ او نسمع لحناً صغير
ونشربُ النبيذ .. في المسرح نمضي هذه الامسية
الناعمة ؟
او مرقص تلتهب السيقان في اضوائه الغائمة ؟
ام اننا نحتفل ، الليلة ، في الغرفة :
مائدة صغرى وتانغو حنون
وباقة حمراء ملتفة
أجمل من ذا .. اي شيء يكون ؟
وانفلتت اقدامك الحافية
تغزل ثوب الرقصة العارية
(دخن ودخن ، ليس غير الدخان
واسأل بقايا الكأس في كل حان :

كيف مضى الماضي وفات الاوان ؟
يمتصني الاسفلت
طيراً اضاع الصوت
تمتصني الباربات
وجه نبي مات

الطائر المرمري

ها انا ابحتُ عن طير الرماد
في لهيب الجسد الفاني وادغال السهاد ،
هذه الخصلة من شعرك ريح وشرار
هذه الكأس التي كانت تدار
ها انا اشربُ من فخارها الاخضر نار
ايها الحبُ الذي اشعل اجفاني بملح وقتاد

ما الذي يحرقني حياً ويبقي الروح خيطاً من حرير
طائراً من مرمر اخضر لا يطوي جناحا او يطير؟
كل شيء منك، غير الالق العاري، اراه
بين كفي حريراً او لهيباً في الشفاه
ايها الحب الذي اشعل اجفاني بشمس من سهر
من ترى البسني في الكوكب المهجور تاجاً من تراب؟
ها انا اركب اقمار الحجر
ملكا اغزو فضاء البار،
لا ابصر وجها غير وجهي في الشراب
ايها الحب الذي اشعل اجفاني بملح وسراب
خلني المس وجه الالق العاري المذاب
في مياه احترقت كفي عاماً بعد عام،

لأغني كوكباً يفرق في حانة طين وظلام
لأصلي وانا
(صيفك المترع في الغابات ، والسحب التي تلمس
اطراف الشجر
واريج الليلك المبتل ، والضوء غمام ،
وذراعاي يشدانك ، والرعد على مقربة منا انفجر
فدخلنا الشجر الملتف كالكهف القديم
وافترشنا الورق اليابس والعشب الهشيم
شعرك الاصفر كالحنطة مبتلا ، على وجهي انهمر ،
وعلى المرمر برق ومطر ..)
حط بي فوق تراب المائدة
مركب دار وراء الالق العاري المذاب

في مجرات القرون الباردة ،
ايها الحب الذي اشعل اجفاني بملح وسراب
غرق الكوكب في نوم طويل
فلماذا لا يزور النوم لي جفناً كطير مستحيل؟
(انها الان ، وفي مبسمها العاج لفافة ،
تشرب القهوة او تجلس عند المعزف الضخم القديم ،
ترتدي سروالها الضيق حتى الموت ، تلتف بظل
من خرافة
او بحلم ازرق طوع يديها قصر بلور ونمر وزرافة
وعلى شيطانها ينتحب الصفاصاف والطير اليتيم ،
هاك زهر الشجن الناعس ، لم يلمسه ظل او نسيم ،
هاك ياطفلي اقحوانه

شمعة في كل حقل تتوهج ،
قلتُ ، لو اعطيته بعض البنفسج
غير اني لم اعد املك شيئاً منه ، خذ مني اقحوانه .
وانا ابحت عن طير الرماد
في لهيب الجسد الفاني وادغال السهاد
ومجرات القرون الباردة
الوق يشعل وجهي في تراب المائدة .

ليلى

انكر وجهي النخلُ ،
ملفعاً بالثلج ،
اضعتُ فيه حفنة من وهج
يطبقُ كفيه عليها طفلُ
تلمع فوقَ وجهه الزوبعة
والبطُ في صيحاته المفزعة

يوقظه في اخريات الليل ..
(تلقفنا ترايك ساعة الميلاد
وغذانا بزهر الماء والطين
فان شقت سيوف البرق ، يوماً ، جلدة الجاموس
ودوى الرعدُ ، واندلقت دموع الله
تفتح عن حدائق ارجل الغربان والرشاد ،
قطع الحندقوق المر طعم شتائنا العاري
وطعمُ الصيف
حلاوة تمرك المغوس باللين .)
في غرفة تزهرُ موسيقى
وسرورة هدياء
ابصر جذعاً ناضحاً بالماء

اسود محروقا ..
حين يمر آخر الباصات
يخبو رنينُ القفل
ويرتمي فوق جبيني النخل
ثوب صبي مات
وقطرة من مطر ..
(يحط اللقلقُ الصوفي فوق الجذع
فنركض في المدى القشي : يادرويش خبر حلوة الريف
بأنا في انتظار ،
والكلاب تغص بالعظم
ومن كوخ مغطى السقف باليقطين
يعيطُ بنا الدخان : الوقتُ وقتُ غراء ..

وتترك في السحابِ الشمسُ خيطاً دماءً،
وفي اثوابنا يبقى الندى والطين .
انكر وجهي القش
ملفعاً بالثلج ،
اضعتُ فيه نفحةً من عش
وحفنةً من وهج
يطبق كفيه عليها طفل ..

الرباعية الثانية

المُ الغبار القديم ، المُ الصدى عن تصاوير
وجهي ، الليالي هـو ادجُ فارغة والجواري
لهن الارجيح والظل ، ينظرن لي باشتهاء
ويغزلن وجهي خيوطاً تبعثرها الريح ، تلقني
بها في مقاهي الدخان وحاناته ، كل فجر
بعيني هاتين ابصر وجهي قشوراً واوراق

خس يلمونها عن موائد بار، ويلقي بها في
البراميل، وجهي الجرائد تكنس، وجهي
اصطفته المليكة، اجلستها، ذات قرن
بحجري، وحدثتها عن ابي والشقوق التي
خلفتها المناجل في راحتيه، فقالت، وقد
شدني ساعداها طويلا: (تباركت يا طفلي
الهمجي، انتظرتك منذ اعلى التاج رأسي ..
ومعشوقتي امرأة في الثلاثين مرت عليها
القرون ولما تزل في الثلاثين، في النخل
تغلي الظهيرة والرز يشهق نديان، جاءت
تراودني، يالفخذين ممتلئين، افترشنا
لسنايل .. لي ليلة عشت فيها ثلاثين

قرناً ارد المغول عن امرأة القيصر ، انشقت
الارضُ ، ردت الي الكهوف انين الوحوش
التي انقرضت قبل مملكة الحيوان اللبون ،
احتطبنا غصون الصنوبر ، دارت بنا السفن
الكوكبية افزعنا حين حطت تألق تاييس
صرنا تماثيل في الكوكب المعدني ، انفتحنا
زنابق في الكوكب الزنبرقي انفتحنا ، انفتح
ايها الزمن الطحلي ، الجواري لهن الارجيح
والظل ، يطفو على وجهها المائل المستريح
غروبُ البراكين واللهبُ الزحلي ، الذراعان
ينفتحان الى جانبها طويلا .

وغزالُ الرنةِ الراكضُ بي من غابة تأكلها

النارُ الى اخرى علاها الثلج، القاني على
قلعتها المهجورة: البابُ نما العشبُ على اعتابه
والتفت الغبرة، شدتني اليها امرأة القيصر
كانت ترتدي ثوباً خفيفاً، يسقط الشعرُ على
اكتافها الخجلي ثقيلًا، وسريري فارغ يبضح
طيناً وفمي طول ليالي البرد حيوان بلا زاد
ولا مأوى، عرفنا الوحشة البكر وصلبان
المقاهي منذُ دبت في العروق النارُ
تاييسُ غبار راکد في غرفة الفندق، في
مخزن باتا امرأة تعجز عن تكويرها قبضة
فيدياس، احتضنا الطين في عصر الجوّاري
الشقر، يزهو القرد يغدو يوسفًا

آخرَ في الكرسي او في الكاديلاك ، انتفخي
بالماء يا ضفدعة ، في البدء كان الذهبُ
الشمسُ حذاء العاهرة .

وفي الزمن الهمجي خيول بارجلها العقربية
ملء الميادين مرت على عريها الملكي ، استباحوا
عري الثوب ، كنت انا الشاهد الاخرس
الرقصُ في القاعة الان يشتد ، من البس
امرأة القيصر الميت تاج المهرج ؟ في
الشاطيء القمري رأوها على الرمل مرمية
دون ثوب علتها الطحالب في ليلة
الطلق ، عدنا معا بعد سهرة جاز
علينا من الثلج شيء ، زراعي تطوقها ،

السرو ابيض، في الكهف مرت عليها
القرون، ارتدت ثوبها الموسلين
وجاءت تراودني في سماء المقاهي
ولكنهم اجلسوها وراء الزجاج الخريفي
في مخزن من مخازن باتا، التمسّت اليها
السبيل فقيل: اشتر جورباً او حذاء
وقيل: العصافير في الزمن الهجري تحاصر
والسلحفاة تطير، فخير مغنية البار:
اقفرت الصالة الان، في النخل عشب
يموت، ذراعك في الريح قش
فما لك في اي ارض مطار، وكوكبنا
حفنة من غبار، الم الصدى عن حوائط

بابل، في اي آجرة وجهها؟ ايها الكاهن
الحجري .. البغي المقدسة الان في
الطائرات مضيضة او سكرتيرة في
المكاتب، مر المغول على ثديها الجبلي،
اسمها اليوم غير اسمها السومري، ولكن
لي في انحناء حاجبها رحلة في هشيم
الزمان، انتشرنا معاً في دخان الميامر،
في اي آجرة وجهها؟ وجهها في غبار
الخيول التي خلفتها، التصقنا وباركنا
الكاهن الحجري، ، ، انفتلنا على مغزل
الفالس، يطفو على وجهها اللهب
الزحلي، الذراعان يفتحان على جانبيها
طويلا

والمقاهي انتزعت جلدي كما ينتزع الجوربُ،
يطفو الزمن الراكد كالطحلب، يلتف
على اعمدة الشارع وجهي كالخيوط، الفالسُ
يأتي امرأة زرقاء لا اطبق زندي عليها
انفتحت لي مدناً في قعر قذينة بار مقفل
في آخر الليل، رأيتُ الكوكب الارضي
في دورته الاولى وقد اوشك ان يفلت،
قلتُ: ارتكز الان على ثدي بغني خافق
تحت يدي، انفتحتُ تحت يدي
المدنُ المطمورة، ارتدت الى صبوتها
الاولى، المغول انحسروا عن لحم تاييس
بكت ضاحكة عبر الزجاج، ارتد عنها

ساعداي، انتشرا في هبة الريح دخانا
في زمان الموت في المقهى، افترشنا صحف
الريح ودبجنا افتتاحيات قش.. آخر
الباصات مر، افرنقوا، في البدء كان
الذهب، الشمس حذاء القاهرة.

الطائر الخشبي

منتصفُ الليلِ على الشوارع الخالية
امرأة عارية
انهكها الحب ..
والمسرحُ الرحبُ
تظن في سمائه الخاوية
ذبابة لاهية ..

: .. وحينما عدنا من الغابة ، مقلتاك تضحكنا
وفي يديك تحضنين كومة هائلة ندية
من زهر البرية ،
والشعر الطائرُ جلنار
والشفتان حبتا خوخ ..)
وفي الفراغ
زلت بكَ القدم
والمسرخُ انهدم
وانحسرت عن وجهك الاصباغ ..
فاحمل الى الشوارع الخالية
ضحكتك الباكية .

مرثية كُتبت في المقتله

فرسُ الريح ام الخنزيرُ داس
وردة الفجر وادغال النعاس
مرة اخرى ؟
وهل تذكر غير الطين
والماء الذي بعثره في وجهك
الخنزير ؟ أه

وجهك المفجوعُ من يعرفه الليلة ،
منفي الشفاه
غير هذا العائم المخمور في المطعم ،
مشوي اليدين
غير هذا الحجري الشفتين
من رأى الخنزير ،
في اصبعه داس على الجلد السميك ،
وهو لم يقتلع البردي ، لم تطبق عليه شففتاه
ذاك طفل آخر طفل سواه
بيديه اقتلع البردي حتى الخنجر اللين ،
حتى الطينِ غاصت قدماه
قومه القنبُ واللوبياءُ والمستنقعات

يزرعونَ العنبر الوحشي ،
يبنون قصوراً من قصب
جلدهم هـرأة الطينُ وفي ايديهم اخضر الخشب .
فرسُ الريح ام الخنزير طار
ناثراً في كل باب ،
باقة من جلنار؟
آه لو عادت له يوماً يداه
آه لو عادت له تلك الشفاه ..
انه غير الفتى العائم كالرغوة في المطعم ،
غير الرجل المصلوبِ
منفياً على صدر امرأة
وبعيزيه فوانيس شتاء مطفأة

غير هذا اللاقط الاوراق عن اقدام بتهوفن ،
وفينا ضياء اخضر
تحت المطر ،
انه منتصف الليل ،
وهذا الشارع المحتضّر المصباح ،
من يبكي وحيداً ، ضائعاً ،
تحت الشجر ؟

ام تراه

مطراً تنفضه في وجهه الريحُ واوراق الشتاء ؟
(فرسُ الريحِ ام الخنزير داس
وردة الفجر وادغال النعاس
مرة اخرى ..؟)

ترى هذا الفم المبتل بالخمير ،
واصباغ النساء

اتراه

ارضعته درها الجاموسة الغراء؟
(يامنحوش .. يامنحوش)
هذا صوتها المفجوع ،

أه

اتراه اصفر بالخريط ؟

- (حلو طعم هذا الانناس ..)
- في فمي بطيخ حمد الله يا قطة حبي
- (اي حمد الله ؟)
- (حمد الله .. حمدُ الله)

في منتصف الليل ،

وفي مطعم برلين ،

لمن هذا النداء ؟

كالصدي العائد من مقبرة ريفية ،

يعلو على زوبعة الجاز ،

وسيقان النساء ؟

– (خل عنك التبغ كالغيمة يطفو في سماء

وجهك المشوي في ريح الشتاء

واعطني كفك .)

ياقطني الشقراء ..

– ... (حمد الله مات ..)

عمتي هذا ، اذن صوتك ،

هذا العائدُ المفجوعُ؟

– (حمدُ الله مات ..)

يا فمي المبتل بالخمر واصباغ النساء

يا يدي الملقاة كالجثة فوق المائدة

يا يداً عاجزة صفراء ،

يا جثة طفل باردة

انا لم اقطف بك البردي ،

لم اشدد على المردي ،

في ليلة صيف مقمرة

يا يداً خارجة من مقبرة

(فرس الريح ام الخنزير طار

راقصاً في كل بار

تاركاً سيجارهُ الفاخر فوقَ المائدة ..)
ها انا احمل اقدمي الى زوبعة الفالس ،
وابقي انت فوق المائدة
أه يا جئة طفل باردة ..

هوامش

- ١ - رأينا من المفيد لفهم المناخ الشعري العام الذي كتبت فيه القصائد .. ان نشير في هذه الزاوية المنفردة ، الى السنة التي كتبت فيها القصيدة .. والى المدينة التي اكتملت فيها تجربة مكتوبة ..
 - ٢ - الراقصة والدرويش ، السوناتا الرابعة عشرة ، الكنز ، ليلية ، مرثية كتبت في مقهى ، هذه القصائد كتبت في موسكو بين عامي ١٩٦٤ ، ١٩٦٦ ،
 - ٣ - الطائر الخشبي ، الدخان ، كتبتا في بغداد بين عامي ١٩٦٧ ، ١٩٦٨ .
 - ٤ - ممثل واحد في قاعة فارغة ، الطائر المرمرى ، الملكة والمتسول ، قارة سابعة ، هذه القصائد كتبت في بغداد عام ١٩٦٩ .
 - ٥ - الرباعية الاولى ، الرباعية الثانية ، كتبتا في بغداد عام ١٩٧٠ .
 - ٦ - في قصيدة (الراقصة والدرويش) يرد اسم اوديت .. وهو الاسم الذي يطلق في الاصل على بطلة الباليه المعروفة (بحيرة البجع) وهو يطلق في هذه القصيدة على بطلتها الراقصة التي طالما حملت هذا الاسم على المسرح .
 - ٧ - السوناتا الرابعة عشرة . عمل موسيقي معروف لبتهوفن . وهذه القصيدة محاولة تجسيد ايقاع شعري لهذا العمل الموسيقي .
 - ٨ - في (قارة سابعة) يرد ذكر سينما اريول وهي السينما التي كان يتردد عليها الشاعر في موسكو ، وتقع بالقرب من البيت الذي كان يقطنه . ويلتقي القارئ ايضا باسم (متروبول) وهو فندق واقع في القلب من موسكو .. ويتسم بطابعه القديم .
 - ٩ - في قصيدة (الملكة والمتسول) يلتقي القارئ باسماء شخصيات قد تكون معروفة .. ومع هذا نود ان نشير اليها لايضاح ارتباطها الفني وتكوينها الشعري في القصيدة ..
- ★ فيدياس : النحات الاغريقي المعروف ويمثل في هذه القصيدة محاولة الامساك بالجمال الازلي ، ويمثل ابو نواس محاولة البحث عن النشوة الازلية . وفي هذه القصيدة تتحد النشوة الهائلة بالجمال اتحادا ابديا .
- فيدرا : بطلة يوروبيد المعروفة .. التي جعل منها الشاعر راسين عنوانا لاحدى مسرحياته الرائعة . وتمثل هنا . الجمال التراجيدي الفاجع ، ولانها قضت نحبها دون ان تبل لهيبها بقطرة من ماء . ولقد ظلت الفجيعة تعانق

الجمال الباهر عبر مختلف العصور والحضارات في الاعمال الفنية الرائعة . ولا يمكن باي حال ان نفهم شخصية الملكة ، في هذه القصيدة ، دون ان نراها اتحاداً جمالياً واخلاقياً او انصهاراً تاماً لابتهاال ، وجه الملكة المعاصر ، وفيدرا الملتهبة واوفيليا بجنونها وبراءتها وجولييت المندفعة الجرئية التي يأتي ذكرها في القصيدة كعنصر اخر يكتمل به الوجه نهائياً ، وعندئذ تبدأ انا ، الالهة السومرية بتمثيل هذا التكوين الجمالي والاخلاقي . وانا هي عشتار في الادب البابلي القديم ، وهي افروديت التي انشقت عنها محارة في البحر .

★ كانت جوليت نائمة ، مخدرة في القبر ، عندما هبط اليها روميو حاملاً مشعلاً في يده .

★ ايريش : ايريش كيجال مليكة العالم السفلي في الاداب السومرية والبابلية ، واخت انا الهة الخصب والحب . وفي القصيدة السومرية (هبوط انا الى العالم السفلي) تهبط انا في مملكة الموت ، رغبة منها في ادراك اسرارها والتغلب عليها . وعند كل باب من الابواب السبعة ينزع الحراس شيئاً من جواهرها وذيابها ، حتى تقف عارية امام اختها . وفي العالم السفلي تنتظر انا ان يهربوا اليها خبز الحياة وماءها من اريدو فدونها لا يمكن لها ان تقوم من بين الاموات . وهناك اسطورة بابلية تدور حول القصة نفسها ، وجلجامش ايضاً ، في رؤياه ، يهبط الى العالم السفلي .. وفي هذه الاعمال يرتدي الموتى في مملكتهم ثياباً من ريش ويطيرون باجنحة كالخفافيش ، ويأكلون الطين ويشربون الوحل .

★ برناسوس : موئل ربات الشعر في الاساطير اليونانية . وكان دانتي يرى ، في المطهر ، ان الشاعر يقف عاجزاً عن تصوير جمال بياتريش الرائع .

★ في الادب السومري اغنية حب تعتبر من اقدم اغاني الحب في التراث الانساني .. وهي ليست بقصيدة حب دنيوية .. انما تتلوها الزوجة الملكية المنذورة في المناسبة الدينية التي تعرف باسم الزواج المقدس .. تقول الزوجة في اغنيتها :

(لقد اسرت قلبي فدعني اقف بحضرتك

وانا خائفة مرتعشة

ايها العريس ، دعني ادلك

فان تدليلي اطعم واشهى من الشهد

وفي حجرة النوم الملائى بالشهد

دعنا نستمتع بجمالك الفاتن

ايها الاسد ، دعني ادلك

فان تدليلي اطعم واشهى من الشهد ...

موضعك جميل حلو كالشهد ، فضع يدك عليه

قرب يدك عليه كرداء الجشبان

ضم كفك عليه كرداء الجشبان

انها قصيدة غناء ... من قصائد انا ..)

١٠ - في قصيدة (الطائر المرمري) تأخذ العاشقة المعاصرة بسرورها الضيق

ومبسمها العاج وجه اوفيليا التي تغني في جنونها :

(هاك انت الحبة السوداء والاخيليا ، وانت اليك

السذاب ، انه زهر الشجن ، وعلي انا ببعضه

هاك ايضاً اقحوانة ، وددت لو اعطيتك بنفسجاً

غير انه نبل كله ساعة موت ابي ..)

١١ - في (الرباعية الثانية) يلتقي القاريء بوجه صبية تعمل في مخزن من

مخازن باتا .. ان لها جمالا تراجيديا خارقاً يذكرنا بالجمال البابلي

القديم . وتاييس التي ينحسر المغول عن لحمها في القصيدة .. عاشت قبل

غزو الغول بقرون عديدة .. وفي قصة اناتول فرانس التي تحمل هذا

الاسم نجد تاييس بغياً ذات جمال متألق عجيب ، تتحول في النهاية الى

راهبة اشبه بالقديسة . وتأخذ تاييس في هذه القصيدة وجهها آخر .. وجه

الصبية التي تجلس عبر زجاج المخزن .

١٢ - في (مرثية كتبت في مقهى) محاولة رثاء فلاح من قرانا الجنوبية ، سمع

الشاعر بموته يوم كان في موسكو ، وتشبثه هنا بالذاكرة محاولة امسك

بالوجه الطفولي الذي كانه .. وفي القرى التي تقع قريباً من غابات

البردي يقتلع الصبية سيقان هذا النبات الاخضر ، بحثاً عن جذوره

البيضاء التي تشبه الخناجر البلورية .. وفي الربيع يجنون لقاحه الاصفر

الغزير ، ويصنعون منه ، بطريقة التسخين ، شيئاً هو حلواهم ، ويدعونه

خريط . ولكن الخيط يبدأ بالخزير الجريح الذي اجتاز القرية ذات

يوم .. ولقد وجدوه بعدئذ ميتاً في الحقول ، فداس عليه الطفل باصبعه ،
محاولة منه في ملامسه القوي المجهولة الهائلة .

زياره السيدة السومرية

هكذا اريد ابقائك
تماما كما وقفت امام المرأة
عميقة فيها ،
وبعيدة عن كل شيء
ريلكة

الاقامة على الارض

بمقبرة خلف برلين يرقد طفل من النخل ، قيل :
استراح ابنُ جودةَ ، هل يذكر السرو ، منحنياً ،
فوق قبر ابن جودةَ طفلين في النخل يحتطبانِ ؟
اهدئي عند جرفك ايتها الموجة ، الصبية
الشاحبون المهازيل في الريح والبرق ينتظرون
التي وجهها فضّة ، في مقاه مقاعها خشب

او حصير قرأنا الجرائد والنسوة السافرات ،
اهدئي عند جرفك ايتها الموجة ، الصبية
الشاحبون المهازيل في الفندق الرطب
يكتشفون المدينة ، والنحو ، قمصانهم ابحرت في
سطوح مؤجرة تخفق الريح فيها ، المدينة
تلتف في معطف النخل ، يكبر في خفق اطماره
القروي المهاجر ، يكبر في وجهه الجوع والكتب
هل يذكر الجرف وجهين في الماء ؟ هل يذكر الماء
جرفاً الى طينه البط ياوى ؟ قرأنا جرائد
سرية طعمها الخبز يغمس في الشاي
اسماؤها الطين والعشب والصبية الشاحبون
اهدئي عند جرفك ايتها الموجة ، السرو

منحنية فوق قبر ابن جودة ينشر ريش
العصافير،

هل يهجر النخلة الطير في الفجر؟
(قمصاننا ابحت وحدها)
في المطار الزجاجي بيتل وجهك
(اني اخبيء في وجهي
النخل والمنزل القصبي)
الموائد تحت المظلات مشغولة
والغصون النجيلة تقطر..
(في المدن الممطرات الدخان
الجنوبي يذكره الطير..)

يكبر في وجهه الجوع يلتف امرأة من قرى

القش مبتلة تسأل العابر المتعجل عن اي
مستوصف ، في الجرائد صورة جاكلين في الميني
جوب ، الدخان الجنوبي يطفو على وجهه في
مرايا القطارات ، يطلق صيحاته البط منتحبا
في الاعالي ، التي وجهها فضة تعطي ذروة
الموج في الريح والبرق ، في كل حاضرة يدرك
البرق وجهك يشعل في وجهك النخل والدفتر
المدرسي ، الكلاب السفية تنبح في وجهك ،
البرق يشعل في وجهك القروي جرائد
سرية ، تنشر الريح اوراقنا الان فوق
القرى والمحطات ، في ليلة العيد هل يقرأ
السرو ، منحنيا ، فوق وجه ابن جودة طفلين

يحتطبان ، اهـدئي عند جـرفك ايتها الموجة
القروي المهاجر يبـتل في وجهه السـرو في
ليلة العيد يلتف امرأة من قـرى القش توقـد
نيرانها تحت قدر نحاسية ، حين يلتهب
الرقص تنتشر النار في وجهه والدخان القديم ،
القرى ترتدي الطير ،
هل يهجر النخلة الطير في الفجر ؟
(اشـرعة الرز اعناقنا في
الرياح الجنوبية ..)

الصبية الشاحبون المهازيل يكتشفون
المدينة والنار ، هل تستفز ابن جودة في
كل واجهة وردة في الزجاج المكيف ؟

يكبر في وجهه الجوع ، يكبر في خفق اطماره
القروي المهاجر ، في كل حاضرة يرتمي القش
في وجهه والعصافير ، هل يذكر السرو
منحنياً فوق قبر ابن جودة طفلين في النخل يحتطبان ؟

في ادغاك المدن

نخبيء في دغل المدن الرعد ، نقتسم
القطرات الاخيرة في القدح المتواطىء ،
تلقي الرياح الشديدة اوراقها فوق اكتافنا
في عواصم منهكة الخصر ، أن التوقف عند
الجدور المجددة الوجه ، أن التوحد باللهب
المتطاول ، في منزل منزو تحت اجنحة النخل
والطير ادركنا الفجر نكتب آخر لافتة ،
في الظهيرة تثقبها فوق اوجها الطلقات
السريعة ، يخفي انتظارتنا في القرى
القنّب ، الارض يابسة والنهير الجنوبي
تلغو الميازل عن جانبيه ، تخوض في
مائهُ الطحلي الضفادع والصبية الصفر ،

منتفخ البطن يحلم في زهر البط طفل المناقع
أن التوقف عند الجذور المعرّاة، أيتها
العشبة الأرض يابسة والملوك المباعون
في بهو هيلتون يقتسمون الخرائط، تلقي
الرياح الشريفة أوراقها فوق اكتافنا،
في الغبار الصليبي تطفو الحقائق محشوة
بالقنابل، أن التوحد باللهب المتطاول، في
اي منقعة اوراق الرز؟

(أبصرتُ سيقانه الخضر
في غبرة الكتب تعلو، وأبخرة
الشاي تغمر أوجهنا..)
يشحنون الخناجر في بهو

هيلتون ، في اي محسكة
يوقفونك متشحا بالدخان
الجنوبي؟

(ازرق يفتر عن

وجهه الرز في غبرة الكتب).

في اي حفل تلفت طفل المناقع منتفخ البطن
يسأل عن زهر البط ، اوقفت أنسة
الخصل الليكية معتذراً دون ان تكمل
الرقصة المستفزة ، هل ابصرت وجه طفله
المناقع ، متشحا بالدخان الجنوبي ، أنسة
الخصل الليكية؟ في العشبة الأرض تخفق
ايتها الكلمات اخرجي من ملاجئك الحجرية

شعناء، ملتفة بالجذور المعرارة، يغمر
اقدامك الطين، في اي منقعة اوراق الرز؟
(ابصرتُ سيقانه الخضر
في قاعة الرقص تعلو، وتطفو
معي في السرير المؤجر..)
ايتها الكلمات المقرحة الجلد ابركنا الفجر
نقتسم القطرات الاخيرة في القدح المتواطئ

توقیع

امام العيادات ابصرها كل يوم، مكومة تحضن
ابنتها، ترمقُ العابراتِ الانيقاتِ، يخفق
منزلها المتهالك في قرية من دخان وقش:
تعد لنا الشاي، يأتي لنا زوجها بالبريد
السياسي من عتمة النخل، في اخر الليل
نترك في بيته بعض اسرارنا او نناقش

مسألة الريف، مرتعشين من البرد حول
السراج الهزيل، الطيور المهاجرة المستريبة
تطلق صيحاتها، والعيادات تغلق ابوابها
والملاهي الوضيئة تكشف عن عريها المتلطيخ
في اي جرف تعثر منكفئاً، نازفاً، ابركته
الرصاصية في الكتف،

ما قال شيئاً

الى آخر الليل ينزف في مخفر حجري

ولفَ عليه الحصير المدمى

ويبقى البريد السياسي منتظراً في الجذور
الخبئية في عتمة النخل، يفتح المنزل المتهالك
في الغبرة الدموية منكفئاً، فارغاً، ابركته

القوانين ، ياأيها الماء خذني الى الجرف
احفر في صخره وجهه ، او اعلق
في النخل اوراقه لافتات ، تعانق فيها
الجنود الذرى الشجرية ، واللهب الازلي
السراج الهزيل ، العيادات تفتح ابوابها
والرميلة تحتضن النخل حيث ابتدأنا
نلامس نبض البريد السياسي ، ياأيها
الماء خذني الى الجرف انشر موج القميص
الذي اخترقته الرصاصة ، ادرك ناقلة
تعب الشط ، في وجهها الطلق
اكتبُ السماء
طوته الملفات في مخفر حجري

ولفّ عليه الحصيرُ المدمى

ويخبو اسمها في العرائض، ملتفة بالعباءة
ابصرها، كل يوم، امام الدوائر تحتضنُ
ابنتها، ترمق العابرات الانيقات، ينهرها
، عبّر قهوته والدخان المدير الزراعي، يا
ايها الماء خذني الى الجرف احفر في عذمة
النخل، منتزعا صحفاً ينبت العشبُ فيها،
اعلقها راية، يلتقي المنزل المهالك في
خفقها والرميلة، ينكشف المخفرُ الحجريُّ
عن الافق، ياأيها الماء خذني الى الجرف
احفر في الصخر وجها، امام العيادات
ابصره، كل يوم، مُذلاً، تمر به العابرات
الانيقات، احفر شيئاً عن النخل حيث ابتدأنا
نلامس نبض الجريدة.

هبط اور في

تدور العصفير في آخر الليل
في البار، يهبط اخضر اسود
في وجهه النار والعشب
سـيـدتي هل رايت الرياح
القديمة تنشر اثوابه،
(في رطوبة آب ارتكبت الزنى

كنت في الاربعين ، انسلتُ الى النخل
والسنبل العشبُ يبتل اخضرَ اسودَ ، في
وجهه رغبة منذ عشرين لهابة ترتمي كل
يوم على قدمي ، الشتاءات تلتف في
القش ، في قبضتيهِ حنين قديم الى فخذِي
الممتلي ، واحتوتني ذراعان اكثر جوعاً من
الدود في قبره الفارغ ، العشب يبتل في
قبضتي ، انحدر ايها الماعزُ الجبلي ، انحدر
ايها البقر المتوحش ، مسكونة منذ عشرين
بالبقر المتوحش مسكونة كنتُ الماعزُ الجبلي ..)

المدينة تبتل ، سيدتي هل
نسيت على البار نظارة؟

(انني اقطنُ الطابق السابع)

العشب يبتل، سيدتي هل

رايت القرى الصفرة في خفق

اثوابه؟ هل سمعت الكلاب

الحزينة في آخر الليل في

البار؟ ما اسمك سيدتي؟

(من اعالي نيويورك يهبط اورفي

الى غابة الصخر، يهبط اسود في وجهه النارُ

والعشب، في وجهه الالقُ الاخضرُ الذهبي،

المدينة تبتل في صوته الاخضر الذهبي،

المطارات تغلق في وجهه والفنادق، عن

اي خادمة في المقاهي الصغيرة يبحثُ

ورفي الحدائقُ مبتلة والمصاطبُ مشغولة
والعصافيرُ تبتلُ...)

سـيـدتي هل نسيـت على مـرمر
الحوض هذا البنفسج؟

(اني
على مرمـر الحوض انسى البنفسج)
شالك هذا بلون البنفسج!
(عن أي جنية في الحدائق
تبحث^١)

سـيـدتي انت مبتلة، في المقاهي
الصغيرة خادمة ترتدي لون هذا البنفسج
في آخر الليل في البار ترقص، ترقصُ، في

وجهها النار والعشب، سيديتي انت
مبتلة، انزعي عنك هذا الرداء الممزق،
اني اغطيك بالعشب والقبرأت البواكي،
العصافير في آخر الليل
في الجار تقتل .

الدورة

يبكر منتظراً باصه، الراقصات الكئيباتُ
يغرقن في النوم، هل تأخذ الزينة الان
خادمة تمسح الارض في مكتبٍ مثقلٍ
بالملفات؟ في المطعم المتواضع يوصي على
قدح عند مائدتي،

(انني بعدها ضائع، يقفلُ

السيركُ ابوابه ، والكلابُ
الصديقة تسألني عن رنين
الخلاخل في ساقها، ضاحكا
قال لي البيطري البليد: البقية
فيك ..)

المطارات تطفو على حائط المكتب المتآكل
طوكيو،، اثينا.. المذيعه تتقن صنع ابتسامتها،
وجهه بين كفيه في المطعم المتواضع، يوصي
على قدح آخر:

(انتي بعدها ضائع، كنتُ
اصحبها كل يوم الى نزهة
في الحدائق، في ساعة النوم

اروي لها قصصاً، ونغني معاً
حين افرغ من بيرتي .)

السفن البيض تبحر ملء العباءات ، تنفجر
المدن الكوكبية فقاعة في غبار الملافات ،
سيدة العشب مصبوغة الشعر تمتص خميرتها
في انابيب قش وتحلم في واجهات المخازن
سيدة المكرفونات تلهو وراء الفراشات
خضراء ، خضراء اني احبك خضراء صوتك
ملء الاذاعات اخضر ، يوصي على قدح آخر :
(شعرها اخضر والخلال
خضراء والسيرك اخضر ،
تطوي معي بهرجات الشوارع

مزهوة، في الاماسي الطويلة
يدفعنا ضجر نحو ضاحيةٍ
يقطرُ الخشب الرطب فيها...
القنابلُ محشوة بالحشائش
والطين مرمية عند اقدامنا
الطائراتُ المغيرةُ تنفجر الان
فقاعة فوق قبعة القش.)

تحنو على آلة الطبع محمومة بالاوامر ، في
زحمة الباص يلتصق الثوب بالفخذ والعرق
المالح ، الرعد ملء الاعالي يبدد زرقاة آب
الفصون الثقيلة تلف بالورق الداكن
المتهدل ، محمومة بالاوامر يمسح اصباغها

العرق، الزهر المعدني ابتسامتها حين تلقي
التحية والمعطف المطري على المشجب، الراقصات
الكئيبات يغرقن في النوم، اعراسه الهمجية
عبر ابتسامتها المعدنية والحائط المتآكل،
تركضُ ثيران أشور هائجة او تحلقُ مثقلة
بالملافات، تجتاح ساحات اكتافها بالحوافر،
سيدهُ المكرفونات يمسح اصباغها العرقُ
الان في شقة،

(انني بعدها ضائع .. في
سراويلها تتقن الرقص مزهوة
يقفل السيرك ابوابه والكلابُ
الصديقةُ تسألني عن رنين

الخلاخل في ساقها ، حين
اشرب تحلم بالنار مشبوبةً
في البراري .. الشتاء المبكر
فاجأنا في الضواحي بزخاته
فاحتمينا ببهو المحطة .
خسراء ، خسراء انني احبك خسراء ، وجهك
في نهب الصاغة المتراقص ، يوصي على قـدح
خر ، يسرع الخطو ، يدرك آخر باص ويشتم
في نوميه السائق المتعجل والزيـفون .

زِيَارَة
السَّيِّدَة السُّومَرِيَّة

مرات في المشى اتبين خفق حذائك سيديتي
اتبين صوتك، مرات، في ثرثرة الغرف الاخرى
اتبين من لحائك شيئاً منفلتاً في وجه ممثلة
او عابرة عجلي، لا اعرف شيئاً عن اخر دور
تمثيلي كلفت به، لا اعرف شيئاً عن اثوابك
في حفلات السهرة، لكني في وجهك اقراً

انك راغبة ان يجمعنا، في المقهى، ركن منعزل
تتلامسُ ايدينا في البدء ونسحبها، ونقربُ
وجهاً من وجهه، وتروّعنا صيحات طيور البحر
وخفق الاجنحة البيضاء، ويهرب وجهك
منتشراً في خفق الاجنحة البيضاء وفي
الزبد البحري الابيض، سيدتي عندي
في كل مساء يحتفل الموتى وطيور البحر الميتة
البيضاء، نقرب وجهاً من وجهه، وارى
عينيك الواسعتين مبللتين،

اتسمعُ في الطرق المبتلة

وقعَ خطى؟)

لا اسمع شيئاً حين نكونُ معاً، لكني حين

تدقُ الساعةُ دقتها الأولى في البرج وتصفر
في أحشاء الليل الريح، أقلبُ أوراقِي أو
أزرع أرض الغرفة، مكتئبًا كالمحكومين
المنفردين، أصيحُ السمع: فأسمع خطوتها
البيضاء،

(أُخرجُ باحثة)

في الظلمة عن أحد؟)

لا أعرف شيئاً سيدي، لكني أسمع
وقع خطي، في البدء بطيئاً مجهولاً يتردد
في عمق الطرق المجهولة، مقترباً، وأصيحُ
السمع: فأسمع وقع خطي تعلو السلم، تدنو،
تتوقف، تخفق في المشي، تتوقفُ عند

الغرفة، اسمع نقراً فوق الباب وافتحه،
(هل كنت ترى احداً؟)

لا اسمع غير طيور البحر وخفق الاجنحة البيضاء
ويغمرنني الزيتُ البحري الابيض، لكن حين
تركت القاعة في الحفل السنوي الراقص عند
الفجر، ولم اجد المفتاح، سمعتُ خطى..
كانت في غرفتي الغسقية واجمة تخطو
كالمحكومين المنفردين، متوجة، في زينتها
الملكية،

(هل قالت شيئاً؟)

(هذا آخر يومٍ)

اخرج فيه

من اعماق المدن المطمورة ،
لا تدنُ مني
لن تدركي
في الفجر اعود دخانا ابيضاً .
كلّ مساء كنتُ اصيخ السمع وافتح بابي
لكني لا اسمع غير طيور البحر وخفق الاجنحة
البيضاء ،
(وداعاً ،
لا تدنُ مني
لن تدركني
في الفجر اعودُ دخانا ابيضاً .
سيدتي عندي في كل مساء يحتفل الموتى

وطيورُ البحر الميتة البيضاء، ويهجرني بدني
يتسكع في الطرق المبتلة مرتعشاً كالمحكومين
المنهزمين، وتفسح لي العلب المشبوهة ركناً
منعزلاً،

في وجهك اقرأ انك راغبة ان نبحت
في الشجر العاري عن مصطبة، نلتف عليها حتى
توقظنا الخطوات الاسفلتية في مدن اخرى
في وجهك اقرأ انك راغبة ان يصحبنا
في فندقنا خديم الصالات المتسسمون، ندخن
قرب ستائر من قصب، تتلامس ايدينا في
البدء ونسحبها، ونقربُ وجهاً من وجهه،
وتروّعنا صيحات طيور البحر، ويهرب وجهك

منتشراً في خفق الاجنحة البيضاء ، ويهجرني
بدني يتتبع وجهك سيدتي في معروضات
المتحف والمبغى ،

آخر مرجانين ليلى

اضاعني الباصُ الاخيرُ، من ترى يوسعُ لي
ركناً يقيني البردَ والمواصلات؟ غرفتي الوحيدةُ
الضوء الى الفجر الجليدي الهزيل؟ ليلة ضائعة
الشارع في فينا، وحيداً انتحى ركناً بلا ذاكرة
في قهوة، تعج بالاوانس الشقر اللطخات،
تحت الارض، لن اكتب شعراً هذه الليلة،

اني مطر يصفحُ طفلاً النخلَ في فيثا، وعشب
يابس يوقد في ضاحية تلتف بالسرو
وشمس تنضج التمر الجنوبي، وعظم مقمر
يلهو به الصبية،

منذ ساعة :

فارغة هي القناني البيض،

منذ ساعة :

تقوم الساقى

اجمعوا آخر فلس

واشـتـروا قنينة اخرى

انطوى النهارُ في فحص

برامج المنوعات او في

طبخة اليوم ،
لمن يوميء في عيونها النجم
اشهدوا :

اني آخر المتيمين في ليلي
الازاعية ، اني قيسئها الملوخ الاخير ، تنو
خطوة تنكشف الروح لديها مدنا مهجورة تحفر
في عيني وجهاً سومرياً ،
مرة واحدة في القرن تعطي من يديها القبا
يوقد مني حطباً هشاً ، وكل ليلة تدركني
منغرساً الخطوة في خمارة ، تدفعني طفلاً
الى آخر باصر ،

اصدقائي المكابرين لن اكتب

شعراً، هذه الليلة، اصديقائي
اللاهين، منذ ساعة كنتُ كما
اعتدت طويلاً انتحي ركناً
بلا ذاكرة، ابحتُ في السقفِ
الترابي الخفيض، فجأة تفتت
ليلي الاذاعية جصاً وتراباً
من ترى يقنغ ساقى البار ان الجص كان
امراً، تدركني منغرس الخطوة في ركني
الهزيل الضوء كل ليلة، ارتقب اكتمالها
الاخير في السقف الترابي الخفيض؟
من ترى يوسغ لي ركناً يقيني البرد؟

اطار الصّورة المتناثرة

[١]

اتخبر ركناً منعزلاً، مرات تدنو مني خادمة
المقهى وتسامرني، في وجهي يخبو آخر مصباح،
في المتحف ابحث عن تكويرة فخذيها في الممر
والحجر المتآكل، في حفلات الرقص اراقب
سيقان المدعوات المرحات، واصفق خلفي
الباب، اتابع تجوالي في اضواء الطرق المبتلة

منتشراً، اتجمعُ في بار، اتجرع شيئاً
مكروراً، وادخن في شره، وارى تكويرةً
فخذيها متناثرة في مرآة البار المكسورة،
اهتف بالساقى المتكاسل:

اجمع لي اجزاء

المرآة المكسورة

في حذر ..

يتبسم منحنياً ويلم قشور المزة، اسمع
ضحكتها تتردد بين يدي وفي الطرق الممتدة
اهتف: سيدي لي اعضاءك من مرآة
البار، ولي ضحكك المنثورة في الطرقات
وكوني الليلة لي امرأة، ومع الخيط الضوئي

الاول عودي اعضاء متناثرة في خفق المرمـر
او في مرآة البار العكرة .

[٢]

في المقهى اقبـع واجمة، في قاعات الحجر
المتآكل يبحث عن وجهي المتآكل، يبحث
في سيقان النسوة عن ساقـي الممتلئين،
يراقبني في الباص فارسم في عيني وفي
شفتي نداء مكتنزاً، او اكشف عن
صدري المتثاقل، يتبعني ونقضي الليل معاً
وعلى فخذني واثدائي يبقى اثاراً داكنة
ومع الخيط الضوئي الاول اسحب
في حذر بدني، والم على كتفي المعطف، تاركة

تلفوني او عنواني ، ادرك اول باصات
الفجر المتجلد لاهثة ، واحدق عبر زجاج
الباص واكمل زينتي الاولى ، وارتب شعري
في عجل ، مرات اسأل عنه خادمة المقهى
فتشير الى امرأة كانت معه ، فارى في
عينها عيني وفي ساقها الممتلئين ارى
ساقى ، واجلس واجمة ، فاراها تجلسُ
بين يدي ، تحدق في عيني الواسعتين
وتخفي ضحكتها الكدرة .

[٣]

اتناول افطاري في مقهى مزدهم ، اتسكعُ
مرات متباطئة ، اتوقف قرب مخازن

اقمشة او بارات متوهجة، يحلو لي ان
اتبسم في وجهه يتسكع منفرداً مثلي،
وأجيب بلطف مصطنع عن اي سؤال
مصطنع، وألبي دعوته، في اول بار
يؤوينا نتلاصق منعزلين، يحدثني عن
موسيقى في غرفته، واحده عن اوسمتي
في رمي القرص، يباغتنا نغم همجي شاع
اوائل هذا القرن، في التاكسي يتلمس
افخادي، في غرفته اتعري واقفة في ضوء
المصباح العاري، ومع الخيط الضوئي الاول
اسحب في حذر بدني، والم على كتفي
المعطف تاركة تلفوني او عنواني، يطرق

مرات بابي ثملا في ساعات متأخرة، يتزوّد
من عريي المتكور، مرات نتقابل في المقهى
نتجرع قهوتنا السوداء، نحاول ان نتذكر
ليلتنا الاولى، لا اعرف شيئاً عنه الان ولكني
اتلفت، باحثة، في حانات الطرق المتشعبة
النكرة .

السيدة السورية
في صالة الاستراحة

تخيرني وجهك السومري مطاراً، فما لي
سوى ان ارحب او ان اودع، سيديتي
كنت لي نجمة في سماء المخازن تونسني
كلما انحسر المشترون، اتركيني الم تقاطيع
وجهك في الحائط المتاكل في اورد، في صالة
الاستراحة، في اوجه العارضات النحيفات،

عودي تماثيل في باطن الارض او في
المتاحف، بيني وبين السحوب الذي لمستهُ
يدي، برهة واكتوت، قهقهات البغايا
وثرثرة المخرجين، اتركيني أغد مثلما كنتُ
تذكرة في تألق موسمك المسرحي، ارتضى
وجهك المتكبر صحبة وجهي دقائق، لكنني
حين يغلبك النوم ارقب عريك مبتهلا دون
ان احتويه، والهو مع الريح في خصلاتك
في كل ممشى ارافق خطوتك الملكية،
تحملني موجة الضحك الذهبي، احتوتنا معاً
غرفة حوصرت بالمذيعات،
في عمق مرأتك

الدائرية اكن منتظراً

وأقرب من شفتي

قدحاً تركته اصابعك

الناحلاتُ،

اقتربنا الى ابد الدهر منذ التقينا، وباركنا

كاهن من اريدو، ومالي سوى ان ارحب

او ان اودع خطوتك الملكية، اطوي عصوراً

من النار في لفته منك، اطوي عصوراً

من الثلج في لفته منك

في اي موج

المُ اثتلاقك

في الزبد القمري؟

احتوتنا معا غرفة حوصرت بالاوامر تنمو
فعولن فعولن فعول الممّر الاذاعي يجمعنا
برهة، يتوقف نبضي قرونا، واسمع
خفق الخطى المتباعد، حاولت ان اسرّرد
الوميض الجنوني، حاولت ان اتذكر وجهك
بانعة الورد في مدخل السينما
المركزية تصبغ لي وجهها
او تحاورني في السياسة ،
تطرق بابي المترجمة
المستحمة منذ دقائق
في ثوبها الاوزبكي ،
انتظرتك في مطعم منزو

تتناول فيه الصبايا الشريداتُ
وجبتهن ويأخذن زينتهن،
الطيور الغربية تحملني حين يغلبك النوم
أرقب عريك مبهتلاً، لمسة منك سيديتي
انزلتني الى باطن الارض ابحت عن كاهن
من اريدو يباركنا في الممر الاذاعي، في
غرفة حوصرت بالاوامر تنمو فعولن فعولن
فعول اتركيني اطوِّقْكَ خصرأ الى ابد
الدهر او انتشر لهبا في هشيم البراري.

في الحانة الدائرية

اكثُر شيئاً من الطين، اكسره كل يوم
احاول ان اجد الالق البكر، منتشراً في
الزمان ، القرى تتبعثر في الشمس والقش،
ايها الوردة انفتحي في الغبار القديم، القرى
تتبعثر في الظل، ينهدم الجرف بالنخل، يطفو
النواح الجنوبي في صالة البار، موج من

الطين يخفق في ثوبي، الطير في العش منذ
انحنى الطفل، مرتعشا، يتجرع شيئا من
الالام الفذ في البار،

ايتهال الوردة انفتحي في
الغبار القديم

المدينة تبتل، تنحدر الغابة
الجبالية ملتفة، وجهها في الرزاز الخريفي
والريح في شعرها المتبعثر،

ايتهال الوردة انفتحي
في الغبار القديم،

السفائن في البرق والريح
يصططق الموج والطير، تحنو على المنزل

الخشبي البتولا ، الزجاجة تهبط سلمها
المتآكل في كل يوم الى القاع اهبط سلمي
المتآكل في كل يوم الى القاع ، اطوي من الخيط
شيئاً ، وانتظرُ امرأة تتجملُ لي في مرايا
الهيكل عارية ، تتضح في المعبد المتضوع ،
انتظر الألق الابدي ،

السفائنُ تغمضُ جفناً على

الجرف والخشب الرطب ينضح ، ملتفة
بالضباب الشمالي تخطو على الجسر ، منذ دقائق
حدّثني رجل عابر عن شهاب من النار
يسقط اخضر عبر الحديقة ، ملتفة بالرداء
الثقيل ، الرذاذ الخريفي في وجهها ،

والعماراتُ
تذبلُ اضواؤها في الاعالي وتخفتُ ملتفة
بالضباب الشمالي ،

سيدي انني في المدينة

هذا الثلاثاء ، لكنني اتذكرُ
باباً وراء الحديقة يُفضي
الى حانة يتوزعُ فيها
الموائد جمع من المتعبين ،
اذا شئت نمضي اليها معا ،
(انني الان ابحثُ عن
غرفة فالمحطاتُ مكتظة
لم اجد مقعداً واحداً اتجمعُ

فيه الى الفجر ..)
هل انتِ راحلة؟
(انني في المدينة منذ دقائق ،
في الفجر ارحل .)
في الحانة الدائرية اسمعُ شيئاً يحاورني
في يديها ، الزقاقُ المؤدي الى الجسر يسكنُ ،
ما اسمك سيدتي ؟

(حين انطقُ اسمي تفارقني)
في شحوبك خفق الألقِ
الابدي ..
(المجامرُ توقدُ في الكهفِ

ينطرحُ المخملُ الآنُ منكشفاً

في السرير الوثير، الجرارُ
القديمة لم تفترع منذ اودعها
الكاهنُ السومري .)
اجعليني، اذن اتملّ المزارَ
اجعليه امامي منفتحاً،
(حين تنطقُ اسمي تفارقني)
تنظرينَ الى الارض صامتة في
النهار الجميل، الموائد تظلو
أنذهبُ سيدي الان؟ لي
غرفة في البناء المجاور..
(نذهبُ لكنني الان ارحلُ،

أبركنا الفجرُ .
في عرشها تخطر الوردة الابدية
ملتفة ، هل سوى الالقِ .

اهجرُ مائدي مثقل الراس والحانهُ
الدائرية توصل ابوابها ، الحارس المتلفعُ
يصغي قليلا ، يغار مصطبة في الحديقة
منحدرأ في الضباب ، الخطى الان تبدأ في
الساحة ، انتشري في الزمان ، القرى تتبعثرُ
في الشمس والقش ، ينطرح الظلُ ، اهبطُ
سُلمي المتاكل ، ينهدم الجرف بالنخل ،
ايتها الوردة انفتحي في الغبار القديم .

المدينة في العمق تُصغي الى خطوتي ، الصخرُ
احمر صلباً يواجهني ، في الزقاق المؤدي
الى الجسر توقفني امرأة من دخان المطاعم
يلوي ابتسامتها السكرُ ،
(هل يعرفُ السيدُ
المتوحدُ باراً الى الفجر يُفتح؟)
اعرفُ سيدتي
وانحدرنا الى حانة يتوزعُ فيها الموائد جمع
من السفهاء ، الحوائط يهجرها الطير ، يسألني
رجل جرعة ، راعش الخطو يدنو ، يحدثني عن
شهاب من النار يسقطُ اخضر عبر الحديقة .

الرابعة الثالثة

انا الكوكب الاسود، انتشروا في المقاهي
اشربوا الشاي، وحدي اقهقه في وجه
تمثالي الحجري، الصبايا النحيفات يرقبن
فنلق منقل بالثريات يرسل برقية:
(ليلتي هذو)

وجه قوادة .)

ايها الكركدن المرايا لها رقة الحجر ، الوحشة
القمرية في القاعة ، المسرح الآن غرفة
نوم ، انا المسرحية والمخرج ، القادمون
الخطى الشبحية ،
من ذا ؟

نفرتيني في آخر

الليل تنجاب عنها القرون الغبا ، انزعي
عنك هذا النقاب الهلالي ، هل تسمحين ؟
المساحيق في هذه العلبة ، الكركدن عزوف
عن الشاحبات ، اصبغي جيداً ما لنا كلنا
واجم يا حرير ؟ امتلكت الصدى والمدى أه

في ايما نرة من رمال الصحارى البدايه؟ مرت
على جمل طائر، وجهها قال عنه النواصي
شيئا ،

ولكنها في القطار السهوبي كانت
بسروالها الضيق امرأة من لهيب الصنوبر
والثلج ، نامت الى الصبح بين نراعي ، من
كوز الارض تحت يدي سره؟ قام بيني
وبين البياض الخريفي حائط طين ، اقمنا
مخيمننا وانحدرنا الى الغاب بحثا عن الصيد
والنار في آخر الليل تخبو ، الخيول التي
رؤضت نكرتنا بفخنين ما رؤضنا
ما اسمها؟

لونها؟ قيل : آسيا البراري ..

الصواري انحنت

متقلات، اقلّ اشتياقا، فما زار غرفتك
لحجرية غير الخفافيش، يطفو على الحائط
الرطب وجهك، والضوء في مطعم مثقل
بالثريات غيم وراء ستائره القصيبة،
في البار حطت بنا مركبات الفضاء، اللقائق
في الشمس والصبية الجائعون وراء التلال
يلمون زرقة فخرها، القارب الذهبي
الدفين يغامر في الليل صندوقه الضخم،
يطفو عليها، وفخرها زرقة قستها
النساء،

احتبطنا الجريد ،

انتظرنا مع الريح

والثلج والزهر اللهي انتظرنا ، نفرتيتي
في آخر الليل تأوى الى غرفتي الرطبة
الحجرية في ثوبها الغسقي ، انحنت واحتوتني
هممت بتقبيلها ، قهقهت وهي تختض
ابصرت اسنانها الصفرة تسقط

(خذني الى صدرك الرحب ،

في الصبح يطفو على وجهي

اللكي الصبي الابدي

احتضني ...)

وفي لمعة البرق ابصرت اثوابها الفسقية
تنحل عن مومياء .

وقربتني امرأة العزيز ، والدمقسُ يشوي
راحتي ، اندفقتُ افخاذها المليئة ، البغي
في التاكسي ، انتشرنا كالصدي في هدأة
الشوارع الشتوية ، الساعة دقت دقة
فدقة في البرج :

(هل تسمحُ ان تعيرني

لفافة ..)

واقتربتُ في حفر اشعثٍ تعطي فَمَها
الارد :

(اسمُ ، ربما تعوزنا

زجاجة اخرى ... وفي

الشقةِ اختي ، انها

اكبر مني ، انما ليس
كثيراً ، اعطني لفافة ،
منذ اسابيع تركتُ السجن .
في الشوارع الشتوية الليلُ سرير أبيض ،
النخيل في ظهيرة القش : افتحي يا امرأة
اليقين فخذيك ،
بكتُ طفولة الرعد
الجنوبي
ارتقى البرقُ على اقدامه زرقاً
فخار وحنقوقة ، يحتطب الجريد ، يلتف
على الجنوع ، في رائحة الروث الشتاء
الرطبُ في الخبز الذي يشوى على الروث ،

وفي البار يدور الكوبُ بي مركبة، اتركُ
خبطاً دائرياً دمويًا فوق فخذ الزمن الهاجع
في كهوفه غزالة قطبية، يدورُ بي كوكبنا
الارضِي حصر امرأة تفلتُ من ذاكرتي :
منتصف

الليل، انتظرتُ، الساحة الرحبة تخلو،
يشحبُ في المقهى الزجاجي، أنتُ لاهثة :
(خرجتُ توأ بون ان
أودع البنات، هل ننتظرُ
الباص؟ اظن الباصَ لن
يأتي قريباً، لم يعد يعجبني

الكونياك ، كم اتعبني
الوقوفُ خلفَ البارِ ...
قد تركتُمُ المقهى مبكرينَ
هذا اليومَ ..)

في غرفتها تبعثرتُ ملابسُ النومِ على
السريِرِ والاريكةِ ، النبيذُ في اكوابه
معلباتُ الامس في مكانها ، وصورةُ الزفافِ
في اطارها الفضي عند راسها ، وفي الصباح
عندما نهضتُ كانت قد مضتُ لاهثة
تعودُ الوقوفِ خلفَ البارِ وجهاً ملكياً ،
ايها الرعد الجنوبي انفجرُ ،
لقد اضعَتُ الدورَ في

أوج امتداد الصمت

في توتر الخيط الذي

يمتد بين القاعة الرحبة

والممثل الهائج ملء دوره :

هل انا دون كيخوت ام هملت ؟

في توحيدي

أضفرُ من حثالة القش اكاليلَ ، الصدى

الراكدُ في الحوائط الرطبة من اقلقه؟ الدفّ

الجنوبي وراء النخل او نواحُ رأس السنة

الجنائزي في كهوف الرقص ؟

عدنا فوقنا اشربةُ

الحفل ، انتزعنا الالقَ الذاهلَ والاقنعة

احتضنتها مرتعداً برغبتني، تستربت اليّ
من عروقها برودة آتية من مدن مطمورة
في الابد الصخري تلتفّ علي اعمدة الهياكل
الريخ، تلوح امرأة واقفة تضئها
البروق وجها ملكيا، عندما انفلت منها
اقتربت ضاحكة تلفني بساعديها الحجرين :

(التقينا مرة في هداق

الهيالك حرة، في وجهك
ابصرت انتظارا ابديا فانا
آتية اليك، خذني امرأة
اطلقها اليك من تمثالها
الصخري عشق قدرتي ...)

ايها الرعدُ الجنوبيّ انفجرُ ..
وحدي يضيء البرق وجهي وانا أطلقُ في
الحفلُ الجنائزي قهقهاتي، انصدمتُ في
السيّل الذي يجرف في اندفاعه الديكور
والاقنعة، المهرجون، عادة، ينصرفونَ قبلَ
ان يشتعل المسرح بالرقص المغولي، تمارا
امراة في البرج،

على البحر تلقي بزائرها في القرارة في كل
فجر، لقد كنتُ آخر اسرى القبائل، طوقتها
يون ان ادخل الكهف، لما تزل تأخذ الزينة
الملكية لما ازل واقفا قرب افخازها، البار
ملأن كالعادة، القبيء في أوجه، قل لراقصة

البار هل ترتضي القروي عشيقاً لخمس
دقائق؟ يطفو على الحائط الرطب جوربُه الرثُ
راية عصر يُعلّقُ في واجهات مخازنه الحجرِ
القمرّي ، انتظرنا على السُّلمِ امرأة قبلنا
اصطحبوها الى الشقة ، النار في الغابة ، السرو
يحنو على ممرر امرأة في الضواحي ،
المحطة ملتفة

بالصنوبر ،

في آخر الليل تأوى الى عُشيِّ الحجرّي
الكلابُ الهزيلة ، يأوى ابن أوى الهزيلُ ،
الفنادقُ أقفلت الآن ابوابها ، الخدمُ الامراءُ
المهازِيلُ في نومهم يرقصون ، اخترقنا بغُبرتنا

جاذبية أطمارنا وانحدرنا الى مطعم مُثَقَل
بالثريات ، طعم النبيذ الفرنسي في شعرها
ايها اللقلق الروثُ والكربُ الرطبُ في النار ،
تأتي الصبايا النحيفاتُ :

(في السيسان القديم
ابتنينا منازلنا الحجرية ، عبر
السهوب انتشرنا نلم لنيراننا
الروث ، يطفو بجنية الهور
قاربها الذهبي ، احملينا الى
قصرك الذهبي احملينا ولو
مرة ، قيل أبأونا في مدائنك
الخضر اسرى يكبلهم شعركِ

الذهبيّ، احتطبنا حثالةً يقطينة
فوق اكواخنا وانحدرنا الى
النهر، تطفو على الماء نيراننا
ايها النهر الغسقيّ احتضنْ
هذه النار، في نومنا يحتوينا
سرير من السمك الاخضر الذهبي
انحدر فوقنا ايها الغربُ
الشجنيّ، الجروفُ القديمةُ
تحنو على بطها الابيض ..
الشُقْرُ في فروهن يرابطن عند الفنايق
يرقبن ابوابها الدائرية،
ترنو تمارا الى وجهها

في مرايا المغاسل، في ثوب خادمة
في المطاعم تأتي الى السائح القروي
بشمبانيا، كنتُ آخر اسرى القبائل في
البرج، اوقفثها عند باب المحطة، يطفو
على وجهها اللهب الغسقي، انحدرنا مع
السلّم الهابط،

النخل يأوى الى غرفتي الان

ينشر اكفانه القمرية،

يأتي الينا عويل القطارات

في باطن الارض، بهو المحطة يخلو ومنتصف
الليل كوم غبار يزاح بمكنسة، في الضواحي
انحدرنا الى كوخها الخشبيّ المؤجر، طوقتها

قهقهتُ وهي تلقي بتسريحة الشعر
الاصطناعي فوق الاريقة ، في آخر الليل
ابصرتها في مرايا المغاسل تنزع اسنانها
الاصطناعية ، النخل يهجر غرفتي الآن
يتركُ اكفانه القمرية قمصان نوم على
مومياء

وفي الشتاء البارد والطينُ واحزانُ الكلاب
السهرُ الرخيص في المقهى الى منتصف الليل
على الشاطيء في الصيف ، لمن تؤجّر الشاحبة
الثقيلة الخطوة عريها ؟
انتظرتُ باصي الأخير في الساحة ، طالت
وقفتي ،

آيتها الاعمدة الآن يطيب رقصنا

انا وانت والريح الترابية ،

في اسرة الفنادق الرطبة يلتف باطمار

انتظارات الجواري الجامعيات ، انحدرنا

عصبة من السكارى الوقحين ، اصطفت في

وجه قهقهاتنا الابواب في حثالة الميدان ،

في المقهى الخريفية طعم القهوة المرة في

الفنجان طعم امرأة تفلت من ذاكرتي :

المطار في الفجر ،

الزجاج الرطب ، في فرائها تغالب النعاس

في الصالة والقهوة في الفنجان ،

قرب البحر

في الصيف الجنوبي لها نون الصبايا

الاستوائيات ، في الشتاء عند البار تمتص
بيضاء امرأة فارغة البال النبيذ الحلو، في
الباص الى غرفتها تغمض عينيها على كتفي
ابدأ اي ايها

الاعمدة الرقص .. انا وانت والريخ الترابية
في الساحة يأتي الخدم المتوجون، انصرف
السادة والاكاسيا تترك، عادة، على
موائد المطاعم او تسقط من ايدي الجوّاري
الجامعيات على سلالم الفندق،
يأتي مَخبرو
الجراند المرتعشون في ثياب الحفل من احدى

السفارات يعربدون كالمعتاد ،
يأتي راقصاً

في نومه مُصَحَّحُ الصحيفة الهزيلُ ،
تأتي المتسولاتُ

في اطمارهن الملكيات يغنينَ المقامَ ، انصرفَ
السادةُ والاكاسيا تزاح بالكانس ، الان
حوالي الساعة الثانية ، الخفاشُ في
حجرته يواصلُ النزهُةَ ،

في حجرتها تمعنُ في وضعِ
المساحيق وتختار قميصَ

النوم ، تعطي فمها الادرر
لون الوردة البكر وتلتف

ببطانية وترقبُ السُّلَمَ :
يأتي راقصاً في نومه مُصَحَّحُ الهزِيلُ
عبر الألق الطافح في المرمر والسيقان
والطين الذي تنضحهُ اسرة الفنادق
الرطبة ، عبر العشب في الغابة والاسفلتِ
في الموقف ،
في البرج تدق الساعة الثانية الآن ،
تماراً انحدرت تلتفُّ بالشرشِفِ ، في
أكتافها اقرأ أثار الخيول التتريات ،
ابدأي أيتها الاعمدة الرقص معي
لقد أضعتُ الدور في حفل المقنعين
ايها الرعدُ الجنوبي انفجرُ ..

وحدى يضيء البرق وجهي
وأنا التف في اشرطة
الحفل وبالوناته وفي
يدي قبضة من حندقوق ،
حينما ينصرف السادة في فرائهم وقبعاتهم
وتبدأ الممثلات في ازاحة الاحمر والازرق عن
سيقانهن او وجوههن او يسترن
عريهن والقاعة تخلو .. يبدأ الدور الذي
اضاعه المثلان ،
ايها الرعد الجنوبي انفجر ..
وحدى يضيء البرق وجهي .
وانا اطلق قهقهاتي ، انحدرت في السيل

المغولي الذي يجرفُ في اندفاعه الديكودَ
والاقنعة،

المهرجون، عادة، منهمكون الانَ
في وضعِ المساحيقِ على وجوههم في البرجِ .

هوامش

- (١) الإقامة على الارض ، في ادغال المدن ، هبوط اورفي ، الدورة ، زيارة السيدة السومرية ، هذه القصائد كتبت عام ١٩٧٢ .
- (٢) توقيع ، آخر مجانين ليلي ، اطار الصورة المتناثرة ، السيدة السومرية في صالة الاستراحة ، في الحانة الدائرية ، كتبت عام ١٩٧٣ .
- (٣) الرباعية الثالثة ، كتبت عام ١٩٧١ .
- (٤) زهر البط الذي يلتقي به القاريء في قصيدة (في ادغال المدن) زهر مائي ابيض ناعم وصغير يتفتح في المستنقعات ايام الربيع . والمنقعة حفرة تملأ بالرز وتغطي بحصير من القصب ينقل منها الرز ، بعد ايام ، لينثر في مزارعه .
- وغالبا ما تنمو الحبات القلائل المتبقيات في جوانب من المنقعة .. ويستطلن سنابل خضرا .
- (٥) مهرج السيرك ، في قصيدة «الدورة» يبكي كلبته التي ماتت منذ ايام ، كان يحمل معه عددا من صورها التي ترافقه اينما ذهب . وفي القصيدة اشارة الى اغنية لوركا عن السائر في نومه (خضراء ، خضراء احبك خضراء ..) وثمة اشارة اخرى الى قصيدة اليوت «الارض الخراب» التي يقول فيها (والصيف فاجأنا ان جاء على بحيرة شتارنبرجرزي بشأبيب المطر فاحتمينا منها ببهو الاعمدة)
- والزيفون هنا يشير الى النغمة الرومانسية المعروفة في قصة ماجدولين (او تحت ظلال الزيفون) والتهكم هنا واضح تماما كما يبدو لي .
- (٦) في قصيدة (في الحانة الدائرية) يجري بعض من الحوار مع السيدة متضمنا
- اقوالا من هولدرن وريكه والشعر السومري ..**
- يهتف هولدرن بالسيدة سوزيته جوتارد التي يعمل في بيتها مدرسا ،**
السيدة المتألقة التي يعتبرها غريبة في هذا العالم ، ومنتمية الى عالم اغريقي آخر :
- انت تصمتين وتصبرين ، لانهم لا يفهمونك

انت ايهذي الحياة النبيلة، تنظرين الى الارض
وتصمتين في النهار الجميل، لكن عبثا تبحثين
عن اهلك في ضوء الشمس

ويقول ريلكه في اغتياته الى اورفيوس، في الجزء الثاني :

ايتها الوردة .. في ملكك تظهرين كرداء فوق

رداء .. حول جسد من لا شيء سوى البريق ..

غير ان ورقتك الوحيدة في الوقت ذاته

اجتناب ونكران لكل وشاح

وفي قصيدة سومرية قديمة يتوسل اينمر كار الى ربه الحب انا :

اجعلي مزار معبد آبزوا المقدس يظهر لي كالكهف .

٧- في «الرباعية الثالثة» اشارة الى القارب الذهبي الذي حثونا عنه في

طفولتنا ، وقالوا : انه كامن تحت التل ، وفي اعماق الليل يخرج من مكمته

ليطفو ، ذهبيا في الليالي القمرية على ذرى التلال او سفوحها .

وتمارا في الادب الشعبي الجيورجي اميرة تعيش في برج عال ، تختار

من الاسرى كل امسية اسيراً تقضي معه الليل ، وقبيل الفجر تلقي به من

كوة في اعلى البرج الى الماء المندفح .

في المقطع الثالث من القصيدة تتلو الصبايا نشيدهن الى النهر ، وهن

يشعلن النار ويلقن بها الى الماء . وفي القرى ، ايام الطفولة ، عادة قديمة

تقام طقوسها عند انتهاء الشتاء .. حيث يرحب الناس بمقدم الربيع

مضحين له بالنذور التي تكون .. عادة اكواما من القش تشعل فيها النار

وترمي الى الماء لتطفو ملتبهة فترة من الزمن . وقد يضربون على جوانب

اكواخهم كأنهم يطردون اشباحا .

والجنية ذات الشعر الذهبي تعيش في قصرها في اعماق الهور ، حيث

يصب النهر الذي تجثم على جانبيه القرى ، وهي الحلم الجميل الذي يشد

افئدتنا اليه كل ربيع .. حين يخضر الهور ويزهر ، وتنحدر الزوارق بحثا

عن السمك او لتعود ملاى بالبردي او القصب الاخضر ولكن زورقا ما قد

يتخلف ، وينتظر الاهل عودته عبثا ويقولون لنا انه اسير الجنية الذهبية ،

ونتصوره مكبلا بجداول من شعرها الطويل .

عبر الحائط .. في المرآة

وانبثق النور! وفي اللحظة نفسها
انفصلت عنه الظلمات في فزع ،
واذا بالعناصر في الحال
تنفصل عن بعضها بعضاً وتهرب ...
وران الصمت على كل شيء ، ساكناً ، قفراً ...
ونمى الفجر من الوسط العكر
اللعبة المنسجمة الالوان ،
وهناك أمكن ان يتجاوب من جديد
ما كان قد افترق وانفصل .
وبحماسة متلهفة
بحث كلٌّ عما ينتمي اليه .

— غوته —

التكحول

– وكيف استطعت أن تتعرف عليّ؟ أين
رأيتني قبل هذا؟ ولكن ما معنى هذا؟ فأنا
أيضا كما لو أنني قد رأيتك من قبل في
مكان ما .
– أنا أيضا كما لو أنني قد رأيتك في مكان
ما من قبل .
– أين؟ أين؟
– لقد رأيت عينيك في مكان ما .. لكن هذا
غير ممكن ، انما اقول هذا هكذا .. لم يسبق
لي ان كنت هنا ، ربما كان هذا في الحلم .
– نستوييفسكي –

تتجمعُ خمسُ سنينَ في قـدحِ مملوءِ حتى
النصفِ وتطلقني ، يبقى مني وجهِ امسى
دورا يتكررُ في بارِ ما أوى الا أجلافا
وهموما ، كل مساءِ اسمعُ صوتَ قِطارِ
مفجوعِ ، أترقبها ، لي منها ظل في قـدحِ
مملوءِ حتى النصفِ ، وتهبطُ سيدة ، تتوقف
باحثةً ، مرت عرباتُ الحملِ وغادرَ آخرُ
منتظرا ، وأنا اتشبهُ بالغسقِ المتراجعِ ،
منتظرا ، عبثا ، وأجرُ خطايَ الى مقهى ،
يتكاثفُ فيه نُخانُ النَّبغِ وطعمُ البيرةِ ،
ها هي تتركُ عندَ الركنِ حقيبتها وتواجهني ،
تتجرعُ في بطنِ ، اتنكرُ وجهها حاول كويا

القبضَ على شيء منه، اتبينُ ظلاً في قدح
مملوء حتى النصف،

أتشربُ سيديتي؟

(شكراً . لن أمكثُ غيرَ
لقائقٍ .)

معذرة . اني اتذكرُ وجهك
لكن اين رأيتك قبلَ
اليوم؟

(أتعرفني؟ لكنْ خَبرني مَما
معنى هذا؟ فأنا ايضاً
أتذكرُ

وجهك، لكني ما كنت هنا
من قبلُ .)

المُ عليّ المعطف مرتجفاً، والاحقُ ظلاً
في الساعات، تلاحقني متسولة من اسمال
المبغى، اتوغلُ في دهليز منخفض واسدُ
عليّ الباب، واقتعدُ الخشبَ البالي،
اترقب نورة مفتاح، في ومضٍ لفافة
تبغ غائمة تتاكلُ خمس سنين،
(شكراً،

يحلو لي ان ارقص لكن

ليس كثيراً)

في الضوء الكدر انسحبتُ تتلمسُ كومة
اثوابٍ،
(هل تُوصلني؟

اكتب لي)

تخفق في المطر العجالات، وينفتح البولفار
ندياً أحمر، يهجرني الخفق المتسارع
كل مساء في البهو الفارع معطف
سكير منسياً في ركن من بار منطقيء
واراقب من ثقب في الحائط ارملة تتعري
قبل النوم، اري البولفار ندياً احمر، اسمع

في المطر العجالات، وأسألني: هل اشنقُ
فأرا؟ أم اتوسل عبر الثقب وانفضُ
عن ثوبي الجص المتساقط؟ يومياً اتوغل
في الدهليز واسمع نورة مفتاح في غرفتها
واديرُ برأسي مشروعا: هل أسالها
عوداً من علبة ثقب؟ لكني حين اعدتُ
العلبة أمس اجابتني متحصنةً بالبابِ
الموص،
(بعضها عنك،
قد تحتاج اليها).

أم أتسلل؟ ها هي تأخذُ زينتها وتواجهني
وأنا أتقلصُ عبرَ الثقب، أحاولُ ان

أَسْرَبَ، لَكِنِّي اتَّقَدِمُ فِي بَطءٍ، وَتَبَاعَثَنِي
ضَوْضَاءُ نَهَارٍ آخَرَ، مَنَحْمَرًا فِي الثَّقِيبِ
وَهَا هِيَ تَنهَضُ غَيْرَ مَبْكَرَةٍ وَتَعْدُ الشَّايَ،
وَاسْحَبُ نَصْفِي الْآخَرَ، انْفُضْ عَنِّي الْجِصَّ،
وَاعْرِقْ تَحْتَ غَطَائِي سَاعَاتٍ فِي النُّومِ،
وَتَدْفَعُ بِي خَطَوَاتِي فِي الطَّرِيقَاتِ، وَحِينَ تَعِيدُ
الْأَمْسِيَةَ الْمُتَلَاشِيَةَ الصَّفْرَاءَ الْمَلَّاحِينَ
إِلَى الشُّطَّانِ وَدَفِئِ الْمَنْزِلِ يَدْعُونِي بَارِ
مَا أَوْى إِلَّا اجْلَافًا وَهَمُومًا، اسْمَعُ صَوْتَ
قَطَارٍ مَفْجُوعٍ، اترقبها

أوراسيا

أنا مثل وانت مجنون فمتذا

الذي يقودنا الى المنزل؟

وقلتُ لها: كوني لي رفيقا فأنا من اهلك.
فأجابتنى: لم أعد اعرف لي قريبا من غريب.
ولي صدر به نجوى، اشرحها ام اخفيها؟

- جلال العين الرومي -

ارى الحافلات الاخيرة تهجرُ موقوفها، ارتدي
معطفي واغادرُ غرفتي . البهو منطفيء والخفيرةُ
تنصحني ان اغطي رأسي خوفاً من البرد،
اشكرها مسرعاً، اتوقفُ عبرَ الحقيقةِ،
أسمعُ خطواً بطيئاً ومقترباً، أتبينها
في الضبابِ الخريفي، منذُ اسابيعَ أرقبُ

نزعتها عبرَ نافذتي ، وجهها مثلما كان
يوقفني غامض الهمس في صورة المتحفر ،
الريح ساكنة والحديقة تصفي :

(أذن جئت ،

فلنتجول قليلا ، ولكنني
في الحديقة منذ أسابيع
أرقبُ مصباحك المتوهج
دون

المصابيح ، أم كنتَ تجهلُ
موعدنا المتكررَ ؟
أعرفُ موعدنا ، غيرَ أنني
أخشى إختفاءك ، أكرهُ

أن يتبدَّ وجهك في

الضوء!

(مهك، هذي يدي في

اصابعك المستريية تخفق

دافئة، دعك من شكك

(المتسائل)

ممشى الحديقة يغمُرهُ الورق اليابس ،

الخطوات البطيئة خافتة، وجهها اللهب

المتراجف في الهيكل المرمري، اقتربنا من

الباب، اذكرُ وجه الخفيرة منذهلا وهي

ترمقُ هيئتها، في المتاحف يوضع هذا

الدمقس المموج والزينة الاثرية، في

الغرفة انحل عنها الدمقس المموج وانصدر
الشعرُ المتكوم ،

نشربُ شيئاً ؟

(ونسمع شيئاً قديماً ،

اتعرف ؟ شربي المفضلُ

هذا النبيذُ الجنوبيُّ) .

لكنه قد تغيّرَ .

(اعلمْ لن اتجرعَ الا قليلاً ،

وقد اتناول كوباً

من الشاي ، لكنني لم

أرجلَ شعري ، أسمع؟)

ايقظني صاحبي وهو يطرقُ بابي :

(اذن كان عندك ضيف !)

أرى كويها مثلما كان، لم تتذوق سوى
قطرات، وانهضُ ابحت عن اثر غير هذا
الشذى المتخلف عن اعصر غابرات، وارقبُ
موعدها كل يوم، ارافق ظلي في كل ممشي
تدثر بالورق المتساقط، اسمعُ خطوا
بطيئاً ولا اتبينُ شيئاً، واسألُ
صورة اوقفتني مراراً، ولكن اكثر من
زائر قال: لما تزلُ عندَ موضعها ذاك،
اجهدُ عيني لكنني لا ارى وجهَ عاشقتي.
اهجرُ القاعةَ المرمرية، اخطو وحيداً
اواجهها، برهة في المعابر مسرعة

أو اصافها في المطارات تدرك طائرة
غير طائرتي، أو تحقق بي عند موقف
باص، وما كنت ملتفتا، حين أدرك نظرتها
يغلق الباص ابوابه دونها، مرة في
الرصيف المقابل ابصرتها اول الليل لكن
حشداً من الشاحنات السفية اوقفني
دون ان اتبين وجهتها،

في الرذان الخريفي

والريح ادركتها مرة، ترتدي معطفاً
مطريا وتحمل شيئاً من السوق مسرعة،
هل تعلمت في مدن

الناطحات القلب في

الحبِ؟
(عفواً . ولكنني لم اعد
اتنكرُ) .
والموعدُ المتكررُ؟
تضحكُ بون اكتراث ، وتنشرُ فوقِي مظللتها ،
(انني الان غارقة في
مشاغلي المنزلية ، لا وقتَ
عندي ، اذا اوجعتُ
عاشقي المتولة اسنانهُ
مرة ، خلف هذي العمارة
مستوصف ، فليعرج
علينا)

المطاعمُ تعلنُ رقصاتها، الضوء يخفتُ
اذكرُ وجه الخفيرة منزلقاً، دونما دهشة
فوق معطفها الفرو، في الغرفة التف
غيم من التبغ، نشربُ شيئاً؟
(ونسلمُ شيئاً من
الجاز، تعرفُ، اكرهُ هذا

النبذ

(الجنوبي)

توقظني وهي تطلي بأصباغها الوجية والساق،
زاهية؟

(نلتقي اليومَ

في اول الليل في مطعم الامس).

انهض من نومي المتقطع ، في الركن من فندق
واطيء السقف اوصي على قهوة مرة او اخن ،
اخطو وحيداً وانفع بابا الى حانة اتعلم فيها
التشبيث بالالق المتباعد عبر الرجاج .

عين البوم

ياضوء الحب

اتضي ذهبيا للموتى؟

ايتها الصور التي كانت اكثر اشراقا

اتضيئين في الليل لي؟

– هولدرن –

من صننوقي استخرجُ جمجمة، يتأملها
ملك في اطمار، وامد سهوبا يذرعها
مجنون مدرع، وازيح نقابا عن عيني
ناستا، واحاول جهدي ان اسئل
من الصخر الابدي جواباً غير صدى صوتي،
في امطار الليل الموتى يتوقف مركبهم،
يخطون خفافاً فوق الرمل، وتطرق ايديهم
بابي، هل اؤويهم؟ واعيدُ الى الصننوق
عجائبة؟ ام اغلق بونهم بابي، واطل
أحاورُ وجهها صخريا؟ لكن الصخرَ يُعيدُ
علي طوال السهرة اسئلتني، وعسى ان
اعرف شيئاً من اضيافي،

ها اني افتح بابي

مضطرباً، فأنا اتوهم أحياناً صوتاً أو
وقع خطي،

عفواً . لا املك في بيتي
الا هذا الكرسي وهذا
الصندوق العاري، وانا
استخدمه لي منضدة
او اودعه اسفاراً من
جلد بال وصحائف يكتبُ
فيها عني اتباعي
(لا تزعج نفسك، تكفيينا
هذي الاركان، هنا نتمددُ

او نتجمعُ حتى تنقطعَ
الامطار ، وفوق جناحِ
اليوم نواصلُ رحلتنا .
أعد لكم شاي؟ عندي
تبغ نقاسمه؟
(لكنك تدري انا لن
نتناول شيئاً من هذي

الدنيا ، في اوقات
متباعدة نتسكع في
السهل العاري او نعقدُ
مجلسنا في بعض حدائقكم)
واحاولُ ان اتبينَ اوجههم ،

هذا وجه في سحنته

اتنكرُ حيرةً وجهيَ في الطرقات، وذاك
المرع المهزول ينكرني بصباي: وحيداً
اركبُ جذعا مبتلا، واهز بوجه القلعة
راياتي ، لكن من هذي السيدة المتمهلة
لخطوات؟ تحقق، عبر ضباب، في
وجهي، وتزيح نقاباً عن عيني ناستا،
اتنكرُ مصطبة في ممشي منعزل اغو
نيئاً منها، وخطى امرأة متناقلة في
عينها لهب قدرى يدعوني،

قولوا يا أضيافي

هل يمكنكم ان تستلوا

من هذا الصخر جواباً غير
الرجعِ ؟

(اتسألنا؟ هل نحن سوى

زمن يتهشمُ بين يديك ،

تخبئنا في صندوق او

تنشرنا ، هل نحن سوى

الرجع المتكرر؟)

يُطرقُ بابي ، اعرفُ هذا . الطارق تلميذاً

من اتباعي ، الان يجيءُ الجلف ينغص

سهرتنا ويبدؤُ ابهى ساعاتي؟ لكني

حين اعود ارى شتباكي مفتوحاً والغرفة

خالية ، تتأوهُ فيها هبات من ريع

ممطرة ، وعلى الجدران ظلال تلقيها اشجار
السرو و اشعة الموتى ،

لكن ماذا يبغى

مني هذا المتطفل ؟ اسفاري تتراكم فوق
رفوفي اتربة ، اوراقى سقط متاع مبتذل
لا طائل فيه ،

(معذرة استاذي ، كنتُ

اقلب في كتبى وسمعتك

تنشد شيئاً ، قلت لعلكَ

تقرأ في سفر اغريقي

مأساوي ، وبودي ان

أتعلم هذا الفن .)

اتعرف ؟ بعد قليل يعلو
صوتُ الديكِ ويرحلُ
أخرُ اشباحِ الموتى خوفاً
من ضوءِ الصبحِ
، سأطفيءُ ،
مصباحي ،

ابقي وحدي ، تلقي الرياحُ المبتلةُ في وجهي
اوراقاً ميتةً او تنشرها بين الاركانِ وفوقِ
رفوفِ الكتبِ ، وفي حذرٍ اتمس صندوقي .
ينكشِفُ لي عن مجمره وطلاسمِ بالية ، عبثاً
استخرج منها جمجمةً او بعضَ دخانٍ او
لهبٍ يتبدد عن احدٍ من اضيائي .

الزرقه الهامسة

هل الحواس هي التي تجنبنا؟ كلا ، بل
التعطش لشيء آخر . انه الولوج بأيجاد
الحب الحقيقي الذي يدعو ويهرب
على النوم .

- ماري نورفال -

في أب المطر، منذ سنين، كنت أعوج
علي مقهي صديفي، أخذ زاويتي وانحن
في بطء
الغابة عن قرب تبلى،
تواجهني عينا
بنت وعصا (يتوكأ لا بد الكهل المتثائب
قرب البنت عليها المقهي خال الا منا،
النايلة الشقراء الهائلة الثيين تجيء
بكأس ثانية، وتثرثر عن اضرار الخمر،
والزوج السكر، وعطلتها السنوية عند
البحر الاسود،
هذي البنت الواسعة العينين أتاتي يومياً؟

يومياً يأتي الكهل بها
او تعجبك العينان
الزرقاوان
وتضحك
يمكن ان تدنو منها وتحديثها
فأبوها هذا يُضجره ان
يصحبها
في نزهتها الليلية .
لكن في عينيها الواسعتين
اسى ، اتراما عاشقة؟
(لا اعرف شيئاً ، لكني
اتصور ان البنت تواصل نزهتها .

من أجلك)
من اجلي؟
(فأنا احيانا المحها تتأملُ
وجهك في وله ، او ترقبُ
بابَ المشربِ حين تغيبُ
وتنهضُ ضاحكة
(أجىء بكأسِ ثالثة؟)
واحدق في العينين الغائمتين
ارى مطراً وقبائل تُوقد نيرانا ، وكهوفاً يكشفُ
عنها البرقُ ، ارى الالق المتراكضَ فوقَ
البحر ، وتخبو الشمسُ على الصليبانِ ، تولولُ
في الساعاتِ الريحُ ، وتغرقُ في النومِ.

الثلجي تخوم الغاب وتصحو ،

ثانية أتلمس

هذا الباب وأخذ زاويتي ، أترقب أب

المطر عبر زجاج المقهى ،

ثانية تبتل

الغابة عن قرب ، وتواجهني عينا بنت

وعصا

(الكهل الغامض يمسح عن نظارته القطرات

ويوصي النادلة الشقراء على شيء)

في هذي الليلة اتبعها ،

لن اهجر قبلهما قدحي ،

وسأبحث عن سبب

اتقربُ فيه ،
المقهى يخلو إلا منّا ،
ها هي تنهض أخذة
بذراع الكهل ، تُشيعُ
الطرف بعيدا عن عيني
وتأخذ في يوم آخر ، في يوم
لكن في يوم آخر ، في يوم
من أب رآها المقهى
تنهضُ أخذة بذراعي
الكهلُ الغامضُ مبتعدا .
محنياً يُشعلُ غليونه

الرقصة المؤجلة

حيث نوجد لا نرى بعضنا ابدًا ،
وحيث لا نوجد تظل نظرتنا
مُثَبِّتَةً بعضنا في بعض

- فاغنى -

أشقّ باباً في الصدى الي ضباب كنت
في ادغاله اكثرَ لينا وجوى ..
فترتدي العشبَ
الى غيبوبة
ويهبطُ النجمُ الي الطين ، وفي انحداره ،
يغوصُ ملاح غريقُ
حُطمتُ بين نراعيه الصواري
وانطوتُ قلوعه ،
اهكذا ؟
تخطفك السنونُ مني امرأة
في غفلة ،
واستردُ خرقة او مومياء ،

بيننا اكثرُ مما بين جرف
اخضر ونخلة، اكثرُ مما بين
سكين وجرح غائر،
اكثُرُ مما بين نود جائع
وجثة

والزمنُ القديمُ في حفرتهِ يقطينه
يابسة اكسرها، انخلُ فيها فأرى ..
امتلاء فخذيك السهوبيين خيلا حرة
طالَ عليها المكثُ في مربطها،
فاندفعتُ صاهلة
وامتطي اكثرهن عُنفوانا ولظي،
اهكذا ؟

يحفرُ تحت جرفيَ الماءَ فما يبقى سوى
تكشيرة الجنود، كل جرة بضغ شظايا،
وانا اسحبُ ظلي ظالعا، اتبعُ آثارَ
خطي فما ارى غير رمال وانحسار موجة،
اشقُ بابا

في غبار راكد ...

فيهربُ امتلاؤك الهائل من هجته قطع
ابقار لها لون امتداد القطب، لون اللهب
الثلجي،

فأر ناحل

يبب في شقوق جذع، اربعته
لمعة في عين قط زاحف في الدغل
الكثيف .

عبر الحائط.. في المرأة

الم يكن ينبغي لي ان اتكهن بان مسراتي
ستنتهي قبل حبي بفترة طويلة؟ ماذا؟
أصبحت رغباتي كلها هباء انن؟ ولن
أراك، بعد، في حجرتي بكل الحرارة
والنشوة اللتين عوتتني اياما؟

من رسائل الراهبة البرتغالية
مريانا الكوفورانو
(١٦٤٠ - ١٧٢٣)

في الشقة يحتفلون الليلة، منفردا اتي،
واصيحُ الى المرحِ المتعاضمِ في المقهى
في المبنى المؤتلق المتطاوُل، انفض عني
الثلجَ واصعدُ، تفسحُ لي امرأة ركنًا، من
هذي الشاحبة المتعالية؟ الحفلُ السنوي
يطولُ وتغرقُ في القُدحِ المتوحدِ نظرتها،
في الساعةِ يعتنق السهمان، وتنطفئ
الاضواء، الثلج، حثيثًا، يرقص في الشرفات
اصابعنا اعتنقت، في عينيها، في الظلمة
تألقُ النار، امرأة متباعدة بين الفتيات
المدعوات، اسي يتعلقُ في الشفةِ
السفلى، وخطى متثاقلة، ادعوها حين يدور

الرَّقْصُ وتبسمُ اسفةً، وتصبُّ نبياً
احمر في القدحين، تدخنُ ، نشربُ نخباً
الريح النابحة البيضاء ، الساحة يغمرها
الثلج المتسارع

عبر عراء الليل الضاحية

الخشبية تنبض، منعزلاً، عن بعد يخفقُ
في البرج القوطي الضو، وينزلق ترمواي
في طرق بيضاء، يئن نحيلاً، مرتعشاً
حرجُ الشربينِ،

ويخرجُ ملتفاً في معطفه

دستوييفسكي الاشيب :

لحيته في الريحِ

وخطوته لا تسمعُ ،

ينفتل الرقصُ ، الغاباتُ
مدثرة بالثلج ، ويصدحُ في الطرق الضحكُ ،
المدعواتُ المرحات تثير الخمرة ارجلهن ،
أنرقص ؟

(يعجبني ان اسمعَ في
طرقات ضيقة خطوي
في الفجر الضامر .)
بعدَ قليل ينبج الفجرُ
الشتوي !
(أنخرج ؟)
يمكن ان نتجرعَ هذي

البقيا نخبَ تعارفنا؟

(في وقت آخر) .

تنهضُ في بطاء، وتلف على كتفيها
الشال، وينحدرُ الفرو الننبِي ثقيلًا
اشهبًا، تنبح في الساحات الخالية
الريحُ البيضاء، ويجفلُ في الشرفات
الطير الجاثمُ، يرتعش النغم الشتوي
الناحلُ فوق سطوح عالية، ويمرُ بنا
كهل يتناوخُ معطفه البالي في الريح
وخطوته لا تُسمعُ في الطرق الحجرية،
(اعرفه.)

وتشيرُ الى الخطو المتباطيء،

(اعرفه .. اتنبه احيانا
والريحُ تولولُ في العمقِ
الليلي ، والمحة يتجولُ
منفرداً .

يستوقفهُ وهج في نافنتي ،
حنراً يبنو ، اتبينُ تحتَ
عمود الضوء ملامحه
ويحلقُ
في وجهي ، يبتسمُ لي ،
ويواصل نزهته ..)
في تجوالي الليلي اصافهُ
في معطفه المتخافق ،

أسأله
عن وجهته فيشيرُ إلى
الائق
الخابي في البرج ويهبط
في

المبنى الحجري القائم ،
ارجلنا تتبَعهُ في عري طريق ابيض ،
مبتعدين معا ، في اوجهنا الثلج المتسارعُ
نسمع عبر اقاصي الليل دنو الزوبعة
الثلجية ، تُدركنا عند المبنى الحجري القائم
معولة ، متلوية تتناهبُ منا انرعنا ،
وتفرقنا ، اتشبت بالحجر العاري ، وأشدُّ

يدي على شيء كالقرو الاشهب لكني
اتمسك بالثلج المتكوم، ادعو صاحبتني عبثاً
اتمسُ شيئاً كالبابِ الحجري وأهبطُ
اسمَعُ خفقَ خطي، اتبينُ ضوءَ، شموع
شاحبة تتقربُ عبرَ ممرٍ منخفض، تدنو
مني امرأة في عينيها، في العتمة، تأتلقُ
النيران،

اسى يتعلقُ في الشفة السفلى،
وخطى متناقلة

وتشير الى ركن في

اقصى الحائط، اخلاً، في الضوء المتراجيف،
باباً منفتحاً، وارى خثراً يسعُ اثنين،

الفجرُ المتسللُ يكشفُ عريَ ذراعيها ورخامَ
خُوانِ ابيض ، تخرجُ مسرعةً ، ابقى وحدي
اتأملُ وجهها يُشبهها لا يبرحُ عمقَ مرايا
الحائط ،

اسمعُ خطوتها في عمقِ السلم ،
ها هي تحملُ لي زاداً ، وتصيبُ نبيذاً
احمر في القلحين ، تلخُن ، نشربُ
نخب تعارفنا ،

من يقطنُ غيرك في
المبنى ؟

(وحدي)

لكننا حين تركنا الشقة

اوصلنا الكهل المتجول .
(احيانا يأتي ، يتأمل
وجها في المرآة ويسرع
منفلتا ، يتسكع في
طرقات ضيقة ، لكني لم
اخرج من قبوي الا
الساعة اخبرني ضيفي
المتجول انك جئت الي
اخيرا ، منذ سنين في
قبوي اترقب ان تأتي .)
في الشقة كنا الليلة
منتحين معا ركننا ، نتجرع

خمرَ العيدِ !
(انشربُ نخبَ الزوبعةِ
الثلجية .. ؟)

نشربُ سيدتي .
وتصبُ نبيذاً احمر، في كتفيها يخفقُ
ضوء الفجر، وعبر الكوة في الحرج الشبهي
تدبُ الضاحيةُ الخشبية تحت نثار
اشهب، يخبو الليلُ ويتعدُّ النغمُ الشتويُّ
الناحلُ، في البرجِ القوطي صفيرُ الريحِ،
وفي الخدرِ العالي يتثائبُ شبه نهار
يخلو حتى نصفهما القدحان، ويلمسُ
ضوءُ الشمسِ ضفائرها المملولة، انرعنا

تتصارعُ
ينطبقُ الكفانِ على ظلِ ثَلْقِيهِ
طيورُ النومِ ،
افيقُ :

أوقد في حذر مصباحِ الخدرِ وانهضُ ،
عَبْرَ النافذةِ الليلُ الشتويُّ ، الثلجُ حثيثًا
يرقصُ في الشرفاتِ ،
محطةُ مترو عن قرب
وخطى تتسارعُ ،

شقتها في مبنى آخر
اجهلهُ ، القيدانِ هما وبقايا الخمرِ

حتى النصف، وفوق الحائط يبدو ملتقياً
في معطفه يستوييفسكي الاشيب
تنهض في بقاء متثابرة، وتلم على ثديها
الثوب،

اسى يتعلق في الشفة

السفلى :

(ها قد وافى الليل المتعجل

هل نتناول قهوتنا ؟ ام

نخرج تحت الثلج نشم

هواء الليل ؟)

ونشرب نخباً آخرًا!

ينحدر الفرو النئبي ثقيلًا اشهبًا،

نخرجُ : في المشى المتراكم تحتَ الحَورِ
يدورُ الثلجُ ، وتسرعُ في الطرقِ الخطواتُ
ونهبطُ في نفقِ ، في الناحية الأخرى
تتوهجُ لافتة :

مقهى

نجانُ ممرِ البابِ

وننفضُ عنا الثلجُ ، تواجهنا المرأة فتصلح
زينتها ، اتناولُ عذبة المشجب رقمينا ،
نتقابلُ عبر فراغ المائدة المفروشة ، نوصي
النايلة المكسال على شيءٍ وندخنُ منتظين ،
وعبرَ الواجهة المبتلة :

متشحا بالثلج ، زري

الهيئة منفرداً يتوقفُ اشيباً، لحيته
في الريح، ويخبطو مبتعداً في الضوء الغائم،
المسُ في رفق يدها، وتظل صدقة حينا
في الواجحة المبتلة، غامضة،
يتتبعنا

(ماذا تعني؟)

الكهل المتجول في الطرق،
الليلية منفرداً، في معطفه
البالي .

(لا اعرفه .)

يتردد احياناً، في الليل،
على المبنى الحجري .

(اتعرفه؟)

شبحيا اشيب

(لكني لا اعرفه .. لا

اعرفُ

منزلة الحجري .)

تُخزنُ غامضة، متمهلة تترشفُ خمرتها
أو تلمسُ، شبه منومة، يديَ الممدودة
قرب اناء الخمر، وتغرق في القدح المتناقص
نظرتها، في الباب المُ عليها الفرو وتخرجُ
نفء أصابعها في كفي، رجُع خطانا في
الطرقِ الثلجية يعدو ابيض منهزما
أثارُ خطي لا تُسمعُ تتبعنا تتوقفُ عندَ

محطة مترو :

عن بعد يتراءى برج منعزل

في شقتها ضوء!

تتباعدُ أيدينا، في المشى يحنو الحَوْرُ

نحيلا ابيض، تسرعُ خطوتها، في عينيها،

في الظلمة، تأتلقُ النيرانُ،

يتلوى بين يدي القَرُو وَيَنْزَلِقُ، ثقيلًا، مضطربًا

اسمع

بابَ المصعد حين يُرد: صدى يتفرق في

الطرقَاتُ، أجمَعُ راحتيَ المفتوحة، نفاء

اصابعها يتبددُ في كفي .

حب في المَمر

يحلولي ان اذهب الى الحقيقة
لاستحم امام عينيك
واتركك تملأ ناظريك بجمالي
في ثوبي الكتاني الابيض
وقد ابتل .
- من اغنية حب على بريدية قديمة -

اجيء،
المهاجرُ يحملُ شطآنَةً والضبابَ الخريفِيَّ
أذهبُ،

والمتعثرُ في أوبة يرتدي في المقاهي

الجرائدَ في كل ربح جناحاً،

ذراعاكِ في وجهي المتهاك ممتلئان اشتهاء
وفخذاك ممتلئان، الشطوط النحيلة عندي،
الغبازُ القديمُ، ازحامُ العشية بالبقر
المتسكعِ

هذا التكورُ لي بقر وانحناء سخي

أفي كل صبح يراودني ردفك ألبازخ
الشففتان امتلاء ولكنك الماء في راحتي

الدخانُ ، الأريكةُ فارغة ،

هرة في الممرات

في خطوك المتراخي ، ادخلي غرفتي مرة
واتركي من رمد اللقافة لي شفقاً غارباً
فوق منضدتي ، وألسي الخشب المتوجع ،
أم أنت عارضة عند بابي ؟

لماذا ، أذن ، تغزلين اشتهائي ؟

وبوخ الشفاء الثقيلة ؟

عندي الأغاني الجميلة

والمعطفُ الرث ، عندي الحذاءُ الملوث بالطيب

والمعجمُ الفلسفي ،

المقاهي يداهما مطر والصبايا

يواصلنَ ، تحتَ المظلاتِ ، تخينهنَ ، العصافيرُ ،
لائذةً بالافاريز ،

ما شأننا بالمقامي ورواها
من خفافِ الفَراشاتِ ، والبقَرُ المتسكعُ يجارُ
مل الممراتِ اعرفُ :
هذا الرداءُ الثلاثون ،

اعرف :

ليذكِ اكثرَ لينا من البجعِ الطفلِ ينصب
موجاً ،
اشيحي بوجهك ،

هذا التثاقلُ في الخطو

هذي الاصابعِ في شبه

حلم
تمرُّ على الردفِ ، والفخذُ
ملء
السراويل يصفعُ طرفي
لماذا ؟
الاريقة فارغة
في انتظار انطراحك موجا
من
البقر الابيض المتهور
كوني لي امرأة واتركيني ..
اتركي الريح تنفخ اشرة
الغدر ، مبحرة بامتلائك

في كل شط ،
اذن انت لي امرأة في
المرايا ؟
ويمتد بيني وبين
امتلائك منذ الصبي
الخيطة ، اتركه سائبا
في اصطفاق الرياح
الشريدة او امتطى
موجة من رعونته ، غير
اني الامس دون
امتلائك شيئا من
الطين والطحلب الرخو ،

والبجع المتأرجح ينأى
به الموج
عدنا ، اذن ، لعبة في الممر القديم .

هبوط أبي لنواس

وأحس أورفيوس بلهفة الى رؤيتها ،
فمال ببصره الى الوراء ، فاذا بها
تعود لساعتها الى الاعماق السفلى
وهي تمد نراعيا نحو عبثا ...
واذا ملء كفيها هواء .

— أوفيد —

جنانُ انتظار

جنانُ اندحار

جنانُ انتحار

فكنُ يا ابن هانيَ ما شئتَ ، كُنْ حجراً او نديماً
يقيءُ انكساراته ضحكا اسوداً ، كُنْ طريقاً
الى حانة ، والمقرب في المحفل البيغاء

انسحاب

العباءة موحلة في الازقة رايتكُ
المستباحة ، مرمية في الحوانيت مهمة
آخر الليل ،

منكفئاً في توسلك الغيمة اللؤلؤية

عذد الحوائط تستلُ خيط الدنان السرابي

حولك صرعى الندامى وخفق من الفجر في
وجهك ،

الزق خال وثوبك بال ،

ونجمتك

البابلية دون التماعتها الباب والعلج ، بكر
مكورة الثدي من عهد نوح ،

معاً نقتفي اي لمع

ونهبط سلّمنا الرطب

تخبو على الحجر المتاكل منها الخطى ،

أيهذا المدى

المتباعذ قل اي شيء سوى الرجوع !

في كل ارض

جنان وفي كل ومض ،
فكن يا ابن هانيَ ما شئت ،
كن صخرة او صدى
كن مدى او ندى
في انتظار الهواج ،
والجرة الملتقى ،
وارتجل في
غبار السنابك طردية وانتظر خِلعة او عَقارا
(اعدتُ كلبا للطراد سَلطا
مقلداً قلائداً ومقطا
(.....
اعد يا ابن هانيَ ،

في القدرِ الصرْفِ وجه
يطاردنا والبراري السريْرُ،
الصبا عَرَفُها
والرَبِي رِبْفُها
والسبيلُ الى المشتهى البابُ والثقفِي،
اقتلنا عن البصرة القدمَ المتشَبثَ لكننا
حين قلنا : ابتعدنا !
اقتربنا وامسى التلفتُ
شيمتْنا والتوجسُ،
في كل حان جنان
وفي كل بان ،
أفق ايها المتكومُ في فجر

خمارة : عندنا نبأ عن جنان ،
معا نقتفي ركبها المتراقص في
غيمة من غبار
وما اقترب الوجه من وجهها في طوافك ،
لكنه الوهمُ ديدنا

ناحلا يترصده في

الليالي بصيص من النار :

باب الى حانة

ايها المتعثر في الطرقات التوهج في الحان
عارضها والملاوخ كان ابن هاني فاشرب
جنانك وارهن خلعة القمر .

ما كنتما اثنين .

اذن ، فلن تكونا واحدا

فالزمن الدائر غير عابئ يعيد هذا الذهب
الاكل في جلدك وانفلاتها منك ، فما
تحظى بها غير انتظار باطل ، ونظرة يُصيبها
كلُّ خلي عابر ، غير صدى من نغم في قاعة
تخلو وغير كومة تزيحها عما قريب خام
عابسة ،

ما كنتما اثنين ، اذن

فلن تكونا واحدا يوماً

ويخبو الذهبُ الافلُ ، يخبو وجهها عبْرُ
يخبو الذهبُ الافلُ ، يخبو وجهها عبْرُ
يثيرها القطينُ في الاتحاله ،

فيا ابا نواس !
(تمناه طيفي في الكرى فتعتبا^{سا}
وقبلت يوماً ظله فتغيبا
وقالوا له اني مررت ببابه
لاسرق منه نظرة فتحجبا)
وتهبط سلمك المتلوي الي

قبو خمارة، باحثا في الكوى الحجرية عن
خفق نجم، وفي القودح الصرف عن وجهها
المتجدد، يعلو الحوائط ذلك جنني ليل
الى الفجر، ممتقعا، في اصابعك الطين
والنار تصنع دميتك الهشة،
المادحون

استقرت بهم في البلاط النوى
كلما افتض
كفك دنا تأبطته في الزوايا دليلا الى
حكمان الجوى
كلما قيل : آتية ..
والتفت اختفت
والتفت شيمتنا، وهي غير الدمى الخزفية
لو نظرت عينها الى بشر
صير منه فتورها حجراً
وتختفي كل جنان ترتدي كل
جنان ظلها، وكل طير شارد جنان، كل
امراة عابرة جنان،
والتوسل الجميل،
والنيازك العمياء في انصارها الزائل، كل
وردة أفلة جنان،
وانتظارنا الباطل في

الامسية، إندحارنا امام باب صامت
تخشب الارجل في هبوطها السلم
والغبار في الاسرة ، الفراغ في المرأة،
كل امرأة غادرة جنان، كل قدح محطم
جنان، والغزالة الطريفة، الزلزلة الزرقاء
في النبض، قطار مارق جنان

وعد بانخ

اشاح عنه الاخر

الرماد في الريح جنان

الهب الخابي على القباب، عشب يابس
تأكله النيران، برق، ذرة رملية في
فلوات الريح،

وانتظرنا
ولم تعدّ جنان
وقيل : رجع ماكر جنان
وقيل : لمع عابر
وعدنا
نلم انتظاراتنا

في المحطات ، والزرقة المستحيلة ، عدنا
نواصل رحلتنا الحجرية ، والسلام المتعرج
مهبطنا ، في الرجاج المخادع وجه لها
والممر الموشح بالسرو يذكر منها الشذى
والخطى الشبحية

هل تسترد اليد الرعد

في ثديها؟
والقطا نافر ،
والبراري مماطلة
والضرورة غيرُ الضروري
عدنا
نحسب كلَ حانة سبيلا
واي برق عابر دليلا
ولم تكن جنانُ
غيرَ انتظار باطل
وكلُّ طير شارذ جنان
فكن يا ابن هانيَ
ما شئتُ كن موجة

او شراعاً الى
حكمان الجوى ، كن
ملوِّحنا المتكومَ
في اي خمارة كن
نجيَ الدمى الذهبية
والمسولَ في دارة
الثقفي الغليظ ،

الاغاني خيول تروضُ في محفل الصُّم ، كن
صخرة او صدى ، كن مدى او ندى في انتظار
الهوارج ، في الجرة الوجهُ والظلُّ ، والليلُ
طبل ، وتصفع حيناً وتحنو على الشطِ
سرواً ولهوا ، وتجلدُ حيناً وتخبو حيناً إلى

ووجهك في اي خمارة هُزاة، والملوكُ
وحولك صرعى الندامى، وسَقَطُ يديكَ الخزامي
وضوء من الفجر، والزقُ خال وثوبك بال،
ووجهك في اي خمارة هُزاة، والملوكُ
الجواري، فكن لهبا او رمادا

جنانُ انتظار

جنانُ اندحارُ

جنانُ انتحار .

النـيـزك

ان في اعماق نفسي رغبة في الحب
تنطق نفسها بلغة الحب ..
لكن مرد عزلتي الى انني متلفع بالنور .
ياظلمة شمسي
ويا لرغبتني في الرغبة !

— نيتشه —

احاول منك اقتراباً واهربُ
آتية في الصدى
الصخرُ والبحر وجهك
آتية في التشتتِ
اوقفني في السؤال التفاتك
والشاحب المتسترُ
في وجهي الصبحَ يرقبُ ذاهلة في ضبابِ
الخطى ، والتلفتَ والنارَ عدنا نحاولُ ،
سومين !
سومين؟ صاحية في نخاني وماضية
في زماني ،
الاغاني الجميلة تطرُقُ بابي

ابدئي الرقصة اللهبية
في وحشتي البحرُ يلقي الخيولَ الجموحة
والخرقُ بالياتٍ، الشظايا القديمة
تُغرّزُ في الكفِ ،
والكفنُ المتهرىء في الحفرةِ
الدوّدُ في الثدي ،
عدنا نخبيء اوجهنا في
المرايا ونكتشفُ الشَّمس! يرتكبُ الطائرُ الاثمَ
في حينه والمغني يولولُ ،
غيرَ التصاقه جلدِينِ
هل نرتجي؟ غيرَ ان نتمرغَ وعلينِ؟
عودي

اذن ، لها في الاصابع ، عودي سريراً
ينوء الى الصبح بالبدن المتقلب ، اكثر مني
اقتراباً الى جلدك الماء والرغو ، اكثر
منك اقتراباً الى شفتي اللقافة ،

عاد ارتقابي

النتو الترابي

ان يتكور فحذا !

افقنا على الزينة

الهمجية والفاقع الفظ ،

هل يتبقى سوى

ان نحدق في القاع والسلك الميت؟ الموج
يعلو وينحدر ، الصخر في الريح ، والدود في

الثدي ، سومين !
سومي اتركيني ، التسكع
في الطرقات ، المصاطبُ في موهنِ الليلِ
طين وخفقُ صدى في الحوائط ،
سومينُ
موج من الغسارات الجميلات ، طلق يفاجيء
صدغي ، نخب تعتق باسمي .
اعيدي وجهك العاري
ازيحي الفاقعَ الفظ ، وميضاً جأني من نجمة
ميتة وجهك ، ادري اننا في الذرة الاولى
التقينا وانفصلنا ، فأنا ارقبُ كونا آخرأ
يجمعُ نصفينا الغريبين ،

يدانا النارُ والموجة
في غربتنا الغربيةِ
الضغطةُ في الباص
على الكفِ التقاءً غابر
في اللهبِ البكر ، ارتجاجُ
الشفّةِ ، البوحُ صدى
زلزلة في كوكب منقرض ،
في الكهف باق حجر
يحملُ شيئاً من تقاطيعك
خطته يدي ، في الصخر
رجع منك :

انثى تتلظى رغبة ، تجأر في الريحِ.

الجليدية ، عودي امرأة سومين ، عودي
امرأة ،

تُعملُ عندي اعصر بائدة ، وجهك
في الماء الذي اشرب ، في المرأة ، عصف
من براكينك في اوربتي ،
وجهك عندي
الصخرُ والبحرُ ،

الثواني سفن في بر اغضائك
لي منك الخطي الذاهلة . اللفتة
والزينة ، لي منك الصدى الخابي
وأبقى ججراً منفلتاً دون مدار في المتاهات
السديمية ،

سومي ! أعصر ضوئية

، دونك ،

لي مذك انتشار في غبار

، الكون ،

والريخ

لي اذرع والدخان المشتت خصرك ،

آتية في التلاشي ، اتركيني ، على الشط
يلقى بك الموج جذية كلما قلت : طوقتها

لم اجد غير ما يترك الموج في الرمل من

رغوة وارتجافك في الزرقة الابنية

عودي الى ساعدي الشقيين ، عودي

الاجاني الجميلة

تطرق بابي

رغبة تحت الشجر النحيل

على تلك السهول الفسيحة المزهرة المتعطشة
الى العاطفة ، والمكسوة بالصخور ، هناك
اندفع مد العاطفة .. وخلف رؤيا ابتساماته
وتنهدياته وبكائه تماماً كما اعتراني الليلة
منك . اذا لم تأخذني بكليتي اليك فأنا
سأعتبر مفقودة في هذا العالم .

– مرغريت فولر –

من رسالة حب الى بتهوفن كتبت
بعد وفاته بستَ عشرة سنة

في ضوء النجمة ، في الشجر المتمايل ، في العري
الريفي ، خيوطاً ناحلة ، تبدو متريثة ، اتبينها
في ضوء النجمة ، اعرفها : في العشرين امرأة في
الخمسين ، الخطو الليلي ، الرغبة في ثقل
الشفة الاسيانه ، في الثدي المتوثب ملء
قميص النوم ، الرغبة في الثقل المتمهل ، في
ألون الغسقي الشاحب تدعوني ، تدنو مني ،
وألف يدي على دفء الانثى ، ونميلُ معاً فوق
العشب الليلي الرطب ونجفلُ :

راعية الاغنام

الحبلى تُرضعُ طفلاً عن قرب ،

نتلفتُ

بحثاً عن مأوى، يعلو شيء كالقلعة، ادغال
متكاثفة تتهامسُ في الحفر الرملية،
(يمكننا ان ندخلَ .. في الاعلى
اتذكر غوفة نوم .)
لكني لا انكرُ ان هنا مبنى!
(لكنك تنكرُني .)

في جهد ادفع باباً منخلعاً، صدئاً، ونحاولُ
ان نتلمسَ موضعنا، وتُضاءُ الصالة: عودُ
ثقاب في يدها يتوهجُ، اعمدة واثاث
رث، اعشاب ورطوبة دهليز، والسلمُ
يبدو ملتويًا حجريًا ادكن
تخبو النارُ ونسمعُ

خَفَقَ طَيورَ خائفةٍ وصريرَ رِياحٍ في
الغرفاتِ، وثوقدُ عوداً آخراً، نعلو السلم
محترسين، ونفتحُ باباً :

(انكُرُ بضعَ شموعٍ فوق الرفِ .)

وتشعلُ واحِدةً، في الضوءِ الراعشِ ينكشِفُ
السقفَ البالي وتلوحُ الكوةُ، قَرَبَ سريرِ
ابيضِ طاولةٍ وزجاجةِ خمرٍ، في الاعلى يتخافقُ
وطواطٌ، وتتئنُّ الريحُ

وننفضُ اتريةً متقادمةً

عن كرسيين ونأخذُ رَشَفْتنا الاولى، والفسف^س
يديَّي على الكتفين وانهلُّ من ريقِ الانثى،
تتقربُ مني لاهثةً وتطوقني، واحدقُ في

العينين الواليتين ،

وتنفضُ ايدينا عن اغطية

النوم الذكرى وغبار الريح ، خفيفاً يزلقُ عنها
الثوبُ وينصبُّ الموجُ الذهبي ثقيلًا ، نسمعُ
طرفاً فوق الباب ونجفلُ :

راعيةُ الاغنام

الحبلى ترضعُ طفلاً عن قرب ، تتطلع في السقف
البالي ، وتزيحُ وعاءَ الخمر وتتركُ جرتها ، في
الكوة ضوء الفجر وفي الغرفات صياحُ الطير
ورجعُ ثغاء في المرج الغبشي ، وتختلج الشفة
الاسيانه ، تخبو الرغبة في ثقل الثديين :
(الشمسُ قريباً تفضحني .)

والرأعية الحبلى ؟

(دعنا منها)

في المرج لنا مأوى .

(لن يحجبنا الشجرُ الخيطيُّ

الناحلُ ، تلقاني في ضوء

النجمة ، في الليل الاتي .)

تتمددُ منهكة ، وترد عليها الحبلى الاغطية
البيضاء ، تناولها الطفل الغافي لتقبله ، في
العشرين امرأة في الخمسين امرأة في ثوب
النوم وتغمضُ عني عينيها ،

السلمُ يهبطُ بي

حجريا ادكن ، ادفعُ باباً منخلعاً وأنودُ

جناح نعاس عن وجهي ، في الدغل الهامس
في الحفر الرملية ابحث عن مأوى ،
لكني حينَ

أفقتُ وفوقَ المرجِ نُضيَّ النجمةَ ، شمتُ
خطى وخيالاً في الشجر المتمايل ، اعرفها :
في العشرين امرأة في الخمسين ، الخطو الليلي ،
الرغبة في الثقل المتمهل تدعوني ، تدنو مني
وألامسُ ثانية وجهاً اتعشقةً في الظلمة
منذُ صباي ،

العشبُ وثيرٌ ، يكفينا
(لا تقربني فأنا حبلي)
حبلي؟ لكنك غير الراعيةِ

البدوية؟

(لن تأتي .)

وانا اترقب انثاي الغسقية

منذ سنين مقررًا

(لن تأتي الاخرى الليلة)

هل تركتُ لي وعدًا آخر؟

(لا ادري في ضوء النجمة

ترحلُ احيانًا وتعودُ الينا

بعد سنين)

وابتعدتُ في ادغال تتهامسُ في الحفر الرملية

ملء يديَّ بقايا العشب، وفي شفتيَّ مذاقُ

الرمل، وفي الشجر المتمايل، في العري الريفى،

خيوطاً ناحلة، تخبو في عيني النجمة أفلة

متمهلة، وتلفُ الظلما اطيافُ المبنى .

خيط الفجر

- لقد احسست انك تريدني . ولكن لماذا تنتظر هنا؟
- لا اري . لا بد ان انتظر في مكان ما
- ومن الذي تنتظره؟
- بودي لو استطيع ان اخبرك ! منذ اربعين سنة وانا انتظر شيئا
- ما اعتقد انهم يسمونه السعادة او موت السعادة . - سترنبييرغ-

في امطار المدن الليلية توقظني من نومي
دقات، وخطى تتباعد، اتبعها في الاروقة
البيضاء، وابحت عن رقم في الفندق تسألني
عنه امرأة، تتبسم لي وانا ثمل، اتسكع
قبل النوم اغازل نادلة البوفيت،
احاول ان

استرجع بعض ملامحها، اتصفح اوراقا
متقادمة، وازيح غباراً عن وجه امرأة
يتبسم لي، واقول لنفسي :
تُشبهها !

(من قبوي اخرج

باحثة عن وجهك، مکتوب في الواح الابد

الحجرية انك تعشقني، في امطار المدن
الليلية، في عربات الفجر وارصفة الذكرى
أتتبع رجعَ خطاك، وأتركُ عنواني:

في أوراق الشجر
المصفرة، اكتبه فوقَ الثلج المتساقط أنثره زبداً في الموج
أنثره زبداً في الموج وعصفِ الرياح
اضيءُ

مصابيحَ الغرفِ السفلية، انزعُ عن بوابة
قصري القفلَ وأطردُ عن سُوري حُرسي،
وأقولُ:

يجي الليلة!
تدعوني بأسمي، وتلاحقني

في انفاق المترو الليلية، في الباصات
واشعة الريح السكرى، في نيران الفجر
المشوبة حتى الفجر،

وحين ادير اليك الطرفَ

وابعث عن قرب احدى نظراتي الخضراء
النارية يشحبُ منك اللون، وتبقى كالمتمسمر
لا تخطو نحوي او تبسم لي وتكلمني

في المتحف

منذُ ثلاثة اعوام كنا قرب امرأة التاجِ
الذهبي معاً، تتفرس في وجهي، وتقولُ
لنفسك!

تُشبهها!

وتزيح غباراً عني في تاجي الذهبي
معاً يتباطأ منا الخطو، وملء ردائي الشتوي
التموج تخفقُ رغبتي القدرية والالق
المنذور، اقول: الليلة ينهدمُ الجرفُ الهاري
وتطيرُ البومُ، وحين أدتُ اليك الطرفَ ومسك
من نظراتي الخضراء النارية شيء عن
قرب.. امسى تحديقك بي خوفاً وشقاءً
يعصر منك الروحَ ، وتتركني أمضي وحدي ..
هل كنتُ أنا في كهفِ

النومِ يدثرني ورقى ؟ أم أين ترى ؟

ها إنني اسمعُ في الشجرِ
العاري أهاتِ خريف ، في أفقي تتجمعُ

سَحَبٌ باردة ، ويدبُ ضباب ، ها أنا أسمعُ
ثانية طاحونة ريف نائية ، وتلاطمَ ماء
الجرفِ ، وهمسَ نخيل ،

ها أنا أسمع امرأة

تتاوهُ ، تكشفُ عن ثدي لهبي الثلجِ ، وعن فخذ
لهبي الثلجِ ، تُسرخُ في الكوخِ الموجَ الناريّ ،
وتبسمُ لي ، تتهدجُ أهات وتحديثي عن
قصر منعزل ، حجري عبرَ سهوب القش
وبردي الماء العاري :

(والكهف المنفتح

المتضورُ ما أوى احداً في الظلمة غيرَ رذاذ
الجرفِ وامطار الفجر المتلصص ، منكشفاً

يتشهى، يرقبُ لمح شرّاع منحدر او رنة
مجذاف

هل غير انين السعفة والحجر
المتساقط عن جرف يتصدع؟
من يتقربُ
من يأتي؟

كن لصا او ضيفا مكبودَ

الخطوة يسألني زادا، وتلمس بابي
المنفتح المتضور في لطف، وتوغل، منفلتا
في العمق الملتهب الطامي، واسحقُ اعشابا
يابسة، وازح بيديك الرملَ واتربة
الارض المحروقة..)

لكني وانا اتسلل
(مسك من نظراتي
الخضراء النارية شيء ،
اتركُ عُنْوانِي في

الماء المرتجف الجاري ، وعلى الجرف المتصدع
اكتبه ، وابث حنيني ، منتشراً في
الريح العاوية المفجوعة فوق براري
الرمـل واصقاع الثلج العاري ، وارقب
نطوك عبرَ قناطرَ من حجر تتهدمُ قربَ
ضفةٍ ، تذكرني ؟

في الموقد تُحتضِرُ النيران
نهضُ طاوية غزلي ، واغادرُ ، تسمعُ

طرقاً فوق البابِ البلوري النائي ، مندفعاً
خلفي ، وانا بخطاي ادور على احواض
الزهر ، واسحبُ ذيلَ ردائي الاسود
فوق الثلج مُنتبِ كون آخر
تتبعني فاشير
الى الكوخ المتقوس تحت النخلة
تذكرني ؟
في حافلة المترو ، اتبسم ، اسبيلُ اهدابي
وتهامسنا في عتمة منعطف ؟
وتلف علي
ذراعك في الرقص المتباطيء ، غرفتك الصغرى
في اعلى المنزل ، تسألني

وأديرُ اليكَ

الطرفَ وأبعثُ عن قربِ إحدى نظراتي
الخضراءَ النارية، يشحبُ منك اللون
وتبقى كالمتسمر،

اترك عنواني في أوراق

الشجر المصفرة، ارقبُ ان تلقى وجهي
في زحمة باص، في جفلات الرقص واندية
العري الليلية، في القش المتناثر والريح
الجوابة، في عربات الفجر واقبية الزكري..)
واقولُ لنفسي :

تُشبهها !

لكني اطرقُ باباً

منغلقا لا تُسَمِّحُ بقتة، واعدوُ الي القنينةِ
يحملني الرقْمُ السحريُّ ويوغلُ في الظلِ
الامزوني الملتف، اشم شذى منها
او انكر برق تلفتها في لمع عيون الوحش
وادعو نائلةً

البوفيت الي قدح واطوقها
واقولُ :

لعلي في البدن المتقلب بين يدي
الامسُ منها امواجاً او عشباً انبته الجرف
المتصدع

(يببو انك عازفة عن كأسك؟)

(اشعرُ اني متعبة)

(هل اطلبُ شيئاً آخر؟)
تسمعُ رقصتها الاولى ، تتذكرُ
قهوتها السوداء ووقفته :
يرجو ان يقتسما
في هذا الركن الطاولة
الثملُ المتراعى
ثانية يتلوى عند البار وتزعق فيه
النادلة التتريه
(يمكنني ان آخذ حافلتي
وحدي شكراً !)
في المطعم ما حفلا بالرقص ، وفي الطرقات
الخافتة ابتعدت يدهُ عنها ، في آخر امسية

اقعى السأم المتثائب بينهما ..

ويراني الفجر

نحيفاً مخموراً ، تخبو قبلاتي في شففتي
وتزلقُ مني في ثوب النوم الانثى ، واتابعُ
مرتعشاً ظلي المتكسر فوق السُلم ، تصففني
الامطار وتهربُ بي الطرقُ المبتلة ،

اعرفُ خطوتها

في الرقص ولفتها ، ويضاء المسرح ،
محموماً اتفرس في البدن العاري ، اتذكرُ
بين يدي في ضوءِ الفجر ،

وتحجبها عني

استار القاعة

حين تدقُ الساعةُ اربع
دقات وتمر وتوشكُ ان تتعداني تتوقف
(اعرف انك ترغبُ بي
لكن ماذا تترقبُ؟)
لا ادري ، مكتوب ان اترقب
عندَ رصيف ما !
(لكن من ذا تترقبُ؟)
لا ادري ، فأنا اتوسلُ
منذُ سنين ان القى شيئاً
يُدعى حباً او موتَ الحب
(وحيثُ ادرتُ اليك
الطرفَ ومسك من نظراتي الخضراء النارية

شيء عن قرب .. امسى تصديقك بي خوفاً
وشقاء يعصرُ منك الروح
وتتركني في امطار
المدن الليلية، اتركُ عنواني في اضاء
الغسق المتلاشي فوق الثلج واضرحة الموتى
الذهبية، في اصباغ الراقصة البيضاء
وفي هالات الزرقة حول الاعين، اتركه
في بضع نقاط من ماء تبتلُ بها امرأة في
معطفها المطري، وفي اللهب المتخافق في
وجه امرأة تتدفأ في كوخ الذكرى
تتقرب منك
وتشعلُ في ادغال

صباكَ النارَ ..)

ويَطْفَأُ في الغرفات

الضوءَ واعصُرْ بين يديَّ يديها مجنوناً
بالحب، اجمَعْ ملءَ يدي سهوبَ القشِ
وبردي الماءِ العاري، ولهائاً تطلقهُ
طاحونة ريف نائية، ونباحاً ابيض، ملء

يدي اجمَعها . واهم بها

وثضيء النارُ الجرفَ

وينكشف الكوخُ المتقوسُ، تكشف ملء
نراعي اللهب الثلجي، تُسرخُ موج ضفائرها
المحلولة،

في الفجر الشتوي الناحل ابحت

عن اثار خطاها فوق الثلج ، واطرها في
حافلة المترو تتسرب بين يدي ، واطرها
في الزحمة ارقبها ساعات مجنوناً بالحب ، اقولُ
لنفسى :

ها هي تبطيء خطوتها

لكنى اعبرُ

قنطرة تتهدمُ قربَ الضفة

(تلقانى ، تتفرسُ

في وجهي ، وتُشيرُ إلى الكهفِ

المتضور ، أخطرُ شاحبة في

ثوبِ زفاني الابيض ، في تاجي

الذهبي ، وأكشفُ عن كنزي

المخبوء ، واتركُ عندَكَ

خِيطَ البابِ الى الليلِ السفلي ، ويغلبُكَ
النومُ المتربصُ قربَ البابِ ، وأطفئُ زينتِي
الليلية ،

أنثرُ عنواني في ذرّاتِ الريحِ

الرملية ،

في نيرانِ القشِ ،

واكتبهُ فوقَ الثلجِ المتساقطِ أخضرَ نارياً ،

تترصدني في الكوخِ

اسرح امواجي لها او انشرها ذهباً في

حافلة المترو ،

وتطوّقُ نائلة البوفيت

وتبحث عن بدني ..)

في الزوبعة المغبرة ، في حفلات

الريحِ العاوية البيضاء أطوفُ نحيفاً تُطفأُ
في وجهي أضواء الحانة ، تهربُ بي الطرقُ
المبتلة ، أتركها تتسربُ بين يدي ممددة
قربي أو عابرة تتبسم لي ،

في حجرتها الوردية

في خان هرم ، تتدفأُ قُرب النار وتنتشرُ
فوقَ الحبلِ قميصاً يلمسه اشعاع
الشمس الافلة الشتوية ،

تفتح حينَ امر

البابَ وتمنحني من عري ذراعيها لها مكنونا

يأكلُ مذي الجاد وتأمل مذي طرقه باب
خافته في ساعات متأخرة ،

ثملا اتوقف

احياناً اتطلع في الشقِ الضوئي : تزيحُ
غطاء او تتهدجُ أهات ، لكني حين
احاول طرق الباب

(يُمسِكُ من نظراتي

الخضراء النارية شيء عن قرب .. تتسمر
في بابي زمنا ، فأرد علي غطاء النوم
واسمعُ خطوك يعلو السُّلم ، اسمع
بابك وهو يُرد

وتتركني لهبا ثلجياً اخضر

حتى اطبق فوقَ خيوط الفجر يديّ)

واحفر تحت

الحائط، احفرُ انفاقاً، وامد قناطر عالية
اجتاز اليك براري الرمل واصقاع الثلج
العاري، او ارقب ان يذمو في اكتافي ريش
فاطير

وبين يدي وعريك طريقة

باب خافتة او ضغطه كف فوق نثار
القش، ويلمحني الغبش الشتوي نحيلاً، مخموراً
يتقلبُ بين نراعي البنّ المننورُ ثقيلاً
ابيض، تزلق مني في ثوب النوم الانثى
ويرد البابُ

ويهبط ظلي السلم

تفتح في وجهي

الطرق المبتلة ،

ثانية تنموج في ورقي امرأة

تتخفى عني ، تترك لي آثار خطي ورداد

اعصره عبثا ، واضم الريح

(واترك عنواني)

في اوراق الشجر المصفرة اكتبه فوق الثلج

المتساقط اخضر ناريا

وتلاحق رجع خطاي

وتتبعني في الاروقة البيضاء ، تدق على

لهبي بابا لا تسمع بقلته وتطوق نائلة

البوفيت وتبحث عن بدني ..)

هوامش

- (١) التحول ، اوراسيا ، عين البوم ، هذه القصائد كتبت عام ١٩٧٤ .
- (٢) القصائد الاخرى كتبت جميعا عام ١٩٧٥ .
- (٣) في قصيدة «التحول» يجد القاريء عبارة اقتبسناها من مطهر دانتى بتصريف ، حيث يقول دانتى : كانت قد حلت الساعة التي تبعث الحنين لدى رواد البحر وتلين قلوبهم .. الساعة التي ترشق بسهم المحبة قلب من يسافر لأول مرة - اذا سمع من بعيد رنين ناقوس - يبدو انه يبكي زوال النهار .
- وكويا هو الفنان الاسباني المعروف (١٧٤٦ - ١٨٢٨) اما الوجه الذي حاول الفنان ان يقبض على شيء منه فهو ، بمعنى عام ، هذا الجمال الهارب العاصي ، وبمعنى خاص ، بالنسبة لتجربة القصيدة فهو وجه بونا ايزابيل كوبوس ، وهي من لوحاته الشهيرة .
- ٤ - لا اريد ان اعطي تفسيراً محدداً لكلمة اوراسيا . فاذا شاء القاريء ان يعتبر هذه الكلمة اسما لسيدة القصيدة فليكن له هذا . واذا رغب ان يجد في هذا الاسم التقاء جمالياً ، شكلا وعمقا روحيا ، بين امرأة اسبوية فاتنة مشبوبة واخرى اوربية شقراء فليكن هذا ايضا ، شرط الا يهرب من بين يديه ظل القصيدة الحلمى الزمنى . وهذا الظل ينسحب على المجموعة كلها . اما التي تخبر الشاعر عن المستوصف ، تاركة له خيطا الى عنوانها ، فهي بالفعل طيبة اسنان التقيت بها صدفة ، في يوم ممطر ، وكانت امرأة شابة فريدة الجمال ، وسأبقى احمل لها اجمل الذكرى ، وكانت تقطن في عمارة قبالة المنزل الذي كنت اسكنه في موسكو .
- (٥) في «عين البوم» يلتقي القاريء بابيات من فاوست غوته اذكرها هنا : في الجزء الاول من المأساة يسمع فاوست طرقا على باب مكتبه ، وقد كان في حوار مع الروح ، وكان الروح قد اختفى ، يقول فاوست :
- (اواه : اعرف هذا الطارق ... انه تلميذي .

الان يجيء هذا الجلف فينغص علي مناجاتي للارواح ، ويقضي على
ابهى ساعات عمري واسعدها)
(ويدخل واغتر تلميذه بلباس النوم وفي يده مصباح ويقول : عفوا ومعدرة !
سمعتك تنشد شيئا بفصاحة وبيان ، فما شككت في انك تطالع مأساة
اغريقية . وبودي ان احصل القليل من هذا الفن .)
ويقول فاوست مع نفسه في مكان آخر : (ولعمري اليس ترابا ما على
هذه الرفاف العديدة من الاسفار التي ضاقت بها الغرفة وضاق بها
صدري . وليست سوى سقط متاع ومجموع سخافات لا طائل تحتها)
اما ناستا فهي ناستاسيا فليليبينا بطلة رواية «الابله» لدستوييفسكي .
(٦) في «هبوط ابي نواس» اقتبسنا من شاعرنا العربي ابياتا اخلنا بعضها
كاملا دون تحوير ، ولسنا بحاجة الى ذكرها هنا فهي معروفة . ولكننا نورد
الابيات التي جرى عليها شيء من التحوير يقول الحسن بن هاني عن وجه
جنان :

ولستُ احظي به سوى نظر
يُشركني فيه كل انسان
ويقول عن جمال وجهها المتجدد :
الحسن في كل جزء
منه معاد مردد
فبعضه في انتهاء
وبعضه يتولد
ويقول عنها ايضا :
لو نظرت عينه الى حجر
ولد فيه فتورها سقما

وجنان هي معشوقة ابي نواس ، وكانت جارية لال عبدالوهاب الثقفي .
وحكمان اسم لضياح بالبصرة ، سميت بالحكم بن ابي العاص الثقفي ،
وهذا اصطلاح لاهل البصرة اذا سموا ضيعة باسم زابوا عليه الفا ونونا .
وقد انتقلت جنان مع مولاتها الى هذه الضيعة فحرم الحسن العاشق من
رؤيتها .

(٧) في جانب معين من قصيدة «النيزك» سمحنا لانفسنا ان نقرب قليلا مما

يقوله الفيلسوف كانت وهو يفسر نشوء الكون . لقد وصفَ السديم الكوني
بهاوية ازل ، واعتبره مليئاً بالمادة المكونة من ذرات في كثافة متباينة ، حيث
توجد قوتان فاعلتان : قوة الجذب او الشدة وقوة الابعاد او التنافر
فبالجذب تتكون نوى من المادة اشد صلابة ، وبالتنافر تبتعد ذرات مفردة
عن دائرة النواة ، فتنشأ عن ذلك حركة دائرية حول النواة الثابتة .. وهكذا
الى ان تتشكل كثافة هائلة ينير لهيبتها الفراغ السديمي ويبعث الضوء في
ليه الحالک .

اما الغربية الغربية عند السهروردي المقتول فهي منفى النفوس المظلم ، في
انفصالها واغترابها ، حيث يلقي بالغريب الذي اغترب في الغرب «اي
الظلمة» (في اعماق بئر لا يسمح بالخروج منها الا في الليل كيما يشيم برق
نجد عن بعد) ولما يزل في شوق الى شرق النور . ونحن لا نطرح هذه
الافكار ايماناً كلياً منا بها ، انما هي اضاءة واغناء لتجربة القصيدة . اما
شوقنا نحن فمن الحلم والارض نابع في ان واحد .

(٨) في قصيدة «خيطة الفجر» يجد القارئ ثلاثة اقتباسات ، من الكاتب
المسرحي سترندبيرغ اخذنا قوله في «الطريق الى دمشق»
(اكنت نائماً؟ ام اين كنت؟ انه الخريف . الاشجار عارية ، والسحب تبدو
باردة .. اتسمعين طاحونة تدور؟ وتلاطم ماء النهر؟ وهمس غابة)
وفي جانب من القصيدة اخذنا حواراه الذي وضعناه كمقدمة صغيرة
لقصيدتنا . ومن الشاعر الكساندر بلوك اقتبسنا قوله في قصيدته «وعشت
سنة جنونية»

ثم تنتهي من غزلها
وبهدوء تطويه
وفي الموقد تحتضر النيران ..
وها هي تنهض وتغادر
وابقى مصغياً الى الدقات على الباب الزجاجي النائي
ثم اقذف بنفسه راكضاً خلفها
وهي تلف بخطاها احواض الزهر ..
وذيل ثوبها ينسحب وراءها كطرف النجم المنذب

وبالطبع جاء اقتباسنا في كل ما ذكرنا بشيء من التحوير ، تمشياً مع ما
تطلبه تجربتنا نحن التي تختلف كثيراً ، دون ان نطرح ما اخذنا من
ابيات بتمامها .

١ - نخلة الله

٥٠	الكوز
١٠	الصخر والندى
٢٠	الغيمة العاشقة
٢٩	جنور الريح
٣٥	طوق الحمامة
٤٤	العيش انتظارا
٤٩	النهاية الثانية
٥٦	نخلة الله
٦١	تتيانا الكساندرفنا
٦٥	القش
٧٠ وقت. للحب. ووقت. للتسول.
٨٧	الكهف القديم
٩٥	الجنوع
١٠٢	قهوة العصر
١١٧	غمامة من غبار
١٢٩	٢ - الطائر الخشبي
١٣١	الراقصة والدرويش
١٤٩	السوناتا الرابعة عشرة

١٥٧ الكنز
١٦١ قارة سابعة
١٨٣ ممثل واحد في قاعة فارغة
١٨٧ الملكة والمتسول
٢٠٨ الرباعية الاولى
٢١٦ الدخان
٢٢٢ الطائر المرمري
٢٢٨ ليلية
٢٣٣ الرباعية الثانية
٢٤٣ الطائر الخشبي
٢٤٦ مرثية كتبت في مقهى
٢٥٩ ٣ - زيارة السيدة السومرية
٢٦٢ الاقامة على الارض
٢٦٩ في ادغال المدن
٢٧٤ توقيع
٢٧٩ هبوط اورفي
٢٨٥ الدورة
٢٩٢ زيارة السيدة السومرية
٣٠٠ آخر مجانين ليلي
٣٠٥ إطار الصورة المتناثرة
٣١٢ السيدة السومرية في صالة الاستراحة
٣١٨ في الحانة الدائرية
٣٢٧ الرباعية الثالثة

٣٥٢	٤ - عبر الحائط .. في المرأة
٣٥٥	التحوّل
٣٦٣	اوراسيا
٣٧٣	عين البوم
٣٨١	الزرقة الهامسة
٣٨٧	الرقصة المؤجلة
٣٩١	عبر الحائط .. في المرأة
٤٠٨	حب في المر
٤١٥	هبوط أبي نواس
٤٢٩	النيزك
٤٣٧	رغبة تحت الشجر النحيل
٤٤٥	خيوط الفجر